كتاب تحفة العلما لعبد الصمد فلمبح

آباجونه

١٧٠٠

كتاب تحفة العلما الافاضل الى الملك العادل

برسم خزانة
المقام الشريف ملك البرين
والبحرين مولانا السلطان
المالك الملك العادل
ابو النصر طومان باي عز
نصره

تاليف الفقير عبد الصمد الصالحي الحنفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مالك الدنيا والآخره ۝ ومذل الجبابرة والأكاسره
ومسعد من أطاعه وامتثل أوامره ۝ ومهلك من عانده
وجحد ربوبيته القاهره ۝ وجاعل من استخلفه في أرضه
ليحكم بين عباده بشريعة نبيه الطاهره ۝ أمينا
على ما استخلف فيه ليسأل عنه في الآخره ۝ أحمده
على نعمه الباطنة والظاهره ۝ وأشكره وإن تعني عن
حقيقة شكره لقاصره ۝ وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يرفع قدري بها في الآخره
حتى أكون من الذين وجوههم يومئذ ناضرة إلى ربها
ناظره ۝ وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله

صاحب

صاحب المعجزات الباهره ۝ والسطوات القاهره ۝
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته الطاهره ۝
صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الآخره **وبعد**
فقد منّ الله تعالى على المسلمين بتولية مولانا المقام الشريف
الإمام الأعظم ۝ والهمام المقدم ۝ الأسد الشجاع
والملك المطاع ۝ صاحب السيف والقلم ۝ والبند
والعلم ۝ الليث الباسل ۝ والإمام الفاضل ۝

مولانا السلطان الملك الملك العادل

سلطان الإسلام والمسلمين ۝ محيي العدل في العالمين ۝
منصف المظلومين من الظالمين ۝ كهف الأرامل
والمنقطعين ۝ غوث الضعفا والملهوفين ۝ عون الإسلام

ملجأ الأنام ۞ قاتل الكفرة والمشركين ۞ مبيد الطغاة
والمارقين ۞ قاهر الخوارج والمتمردين ۞ جامع كلمة
الايمان ۞ قامع عبدة الأصنام والصلبان ۞ وارث
الملك ۞ سيد ملوك العرب والعجم والترك ۞ ملك
البحرين والبرين ۞ خادم الحرمين الشريفين ابو النصر
طومان باي خلد الله ملكه ونصره ۞ وكبت عدوه
وقهره ۞ وأدام له النصر والتأييد ۞ وقمع بسيفه
المنصور كل جبار عنيد ۞ وقد كان المسلمون
قبل توليته في غاية من الضيق ۞ في أسبابهم ومعايشهم
وعدموا أمن الطريق ۞ وكانت الفتن قد كثرت
شرقا وغربا ۞ واجتذب المال ظلما ونهبا ۞ وما برح

الخاص

الخاص والعام من الرعيه ۞ يتضرع إلى الله في كشف
هذه البليه ۞ إلى أن استجاب الله دعاهم ۞ وسمع
نداهم ۞ وأغاثهم فانفرجت كروبهم ۞ بتوليه
مولانا المقام الشريف فاطمانت بذلك قلوبهم ۞ وفرح
بتوليته الصغير والكبير ۞ لزوال ما كان قد حل بهم
من الحصر الشديد والضرر الكثير ۞ وتوجهوا إلى الله
بطول بقايه ۞ ودوام نصره على أعدايه ۞ ولما استقر
ملك مولانا السلطان وثبت ۞ وقهر عدوه بذلك
وكبت ۞ صار مقتفيا آثار الملوك العادلين ۞ وانتشر
العدل في أيامه بساير البلاد وأقطار الأرض ۞
أحببت أن أهدي إلى خزانته الشريفة المولوية

المالكية ○ الملكية ○ الأشرفية ○ العالمية ○ العاملية
العادلية ○ المنصورية ○ الناصرية ○ العزية ○ المؤيدية
المظفرية ○ لازالت معمورة الرباع ○ مأهولة بدوام
الانتفاع ○ كتابا يشتمل على آيات قرآنية ○ وأحاديث
نبوية ○ ومواعظ وأخبار ○ ونوادر وأشعار ○ جمعت
فيه شمل المتقدمين بالمتأخرين ○ من العلماء المعتبرين
فاغترفت من بحارهم ○ واعترفت بقصوري عن بلوغ
آثارهم ○ وجعلته مجموعا تقتطف ثمر الآداب من أزهار
أكمامه ○ وغيثا يستسقي العاقل اللبيب بغمامه ○ مع
ما زدت فيه من أقوال قليلة ○ ناطقة لمخترعها بالفضيلة
وذلك لما علمت أن الله سبحانه وتعالى حفظ نظام الأنام

بالسلطان

بالسلطان ○ وأقامه لهذه الأمة المحمدية راعيا باتباع
الشريعة والإحسان ○ ومن المعلوم أن الزمان في نقص
وإدبار ○ وقل أن يسمح أحد ببذل النصح في هذه الديار
ورتبته على عشرة أبواب ○ تشتمل على كثير من
الآداب ○ وسميته بتحفة العلماء الأفاضل إلى الملك
العادل ○ والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم
موجبا للفوز بجناته جنات النعيم ○ إنه سميع عليم

الباب الأول

في شرف الإمام ○ وطاعة الأنام ○

الباب الثاني

في ترغيب السلطان ○ في العدل والإحسان ○

الباب الثالث

في اصطناع المعروف • وإغاثة الملهوف

الباب الرابع

في اقتداء الإمام • بعلماء الإسلام

الباب الخامس

في الخصال المرضية • من إمام الرعية

الباب السادس

في حلم الإمام • عن ذوي الإجرام

الباب السابع

في السخاء والإيثار • واصطناع الأحرار

الباب الثامن

في بيوت الأموال • وشروط العمال

الباب التاسع

في تحذير السلطان • من الظلم والطغيان

الباب العاشر

في المواعظ الحسنة • والوصايا المستحسنة

الباب الأول

في شرف الإمام • وطاعة الأنام

ليعلم أن أشرف الولايات وأعظمها • وأجل المناصب
وأكرمها • ولاية أمور المسلمين • والزعامة على سائر
المؤمنين • لأن ولاية أمور المسلمين موضوعة لخلافة
النبوة فإن الله سبحانه وتعالى أقام السلطان في أرضه

ليحكم بالعدل بين عباده ۞ وليكون سببا في إنصاف
المظلوم من الظالم ۞ وإيصال الحق إلى مستحقه ۞ ودفع
الظلم عن العباد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ولأجل هذه الأشيا شرع الله الشرايع وأرسل الرسل
عليهم السلام ولولا ذلك لفسد حال العباد والبلاد
فالقيام بهذه الوظيفة من أفضل القربات ۞ وأعظم
المثوبات ۞ وثمرتها سلامة الدين ۞ وحفظ منهج
المسلمين ۞ وتمكينهم من العلم والعمل فإن السلطان
بيده أرزاق العباد ودفع المظالم عنهم إلى غير ذلك
من الأمور التي يعم نفعها ويعظم قدرها مما لا يقوم به غيره
وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق دارين

دار

دار الدنيا ۞ ودار الآخرة ۞ وبالسلطان العادل
قيام الدارين وبه ينتفع العباد والبلاد ۞ وعلى قدر
النعمة ۞ تكون المنة ۞ ألا ترى أن الأنبيا عليهم
الصلاة والسلام أعم خلق الله نفعا وأجل العالمين
قدرا لأنهم تعاطوا إصلاح الخلق وإخراجهم من الظلمات
إلى النور وكذلك سلطان الله في أرضه هو قايم
بخلافة النبوة في إصلاح الخلق ودعايهم إلى رضي الله
تعالى وإقامة دينهم وتقويم أودهم لأن الله تعالى
جعل مدار الأحكام الشرعية عليه ۞ ومرجع الأنام
في جميع أحوالهم إليه وهذا أفضل الخطاب
في هذا الباب قال الله سبحانه وتعالى

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض
قال المفسرون معناه أن الله سبحانه وتعالى لولا
أقام السلطان في الأرض يدفع القوي عن الضعيف
وينصف المظلوم من الظالم لأهلك القوي الضعيف
ولتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال
ولا يستقر لهم قرار فتفسد بذلك الأرض ومن عليها
ثم امتن الله سبحانه وتعالى على الخلق بإقامة السلطان
فقال تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين ۝ يعني
في إقامة السلطان فيأمن الناس به فيكون فضل الله
على الظالم كف يده عن الظلم وفضله على المظلوم
إغاثته وكف يد الظالم عنه وقالت العلماء

وجود السلطان في الأرض حكمة لله تعالى عظيمة
ونعمة على عباده جزيلة لأن الله تعالى جبل الخلق
أجمعين إلا الأنبياء والمرسلين على حب الانتصاف
وعدم الإنصاف فلولا السلطان في الأرض لأكل
الناس بعضهم بعضا كما أنه لولا الراعي لأتت السباع
على الماشية فافترستها ۝ وما أحسن ما قال
عبد الله بن المعتز رحمه الله ۝ إن الرعية بلا سلطان
تفسد كما يفسد البدن الذي لا روح فيه ۝ ولهذا
قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الأرض
ما كان لله في الأرض من حاجة ۝ وقد قيل
مثل السلطان في الأرض كمثل الغيث الذي هو سقيا

وبركات السما وحيات الارض ومن عليها
ومثله ايضا كمثل الرياح التي يرسلها الله نشرا
بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا
للثمرات وروحا للعباد يتنسمون منها ويتقلبون فيها
وتجري بها مياههم وتتقد بها نيرانهم وتسير بها
في البحر فلكهم ومثله ايضا كمثل الليل الذي جعله
الله سكنا ولباسا ونوما وراحة ومثله ايضا
كمثل النهار الذي جعله الله ضيا وانتشارا ومثال
السلطان القاهر لرعيته ورعية بلا سلطان مثال بيت
فيه سراج وحوله خلق يعملون صنايعهم فبينما هم
كذلك اذ طفي السراج فبطلت اعمالهم وتعطلت

جميع

جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير ۞ وخشخش
الهوام الخسيس فبرزت العقرب من مكمنها وخرجت
الحية من معدنها ۞ وجا اللص بحيلته ۞ وهاج البرغوث
مع حقارته فبطلت المنافع واستطارت فيهم المضار
كذلك السلطان اذا كان قاهر الرعيته كانت المنفعة
به عامة وكانت الدما محقونة ۞ والحرم في خدورهن
مصونة ۞ والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان
النافع ظاهرا ۞ والشرير من اهل الفسوق خاملا
واذا اختل امر السلطان والعياذ بالله دخل الفساد على

الجميع

وما احسن ما قال عبد الله بن المبارك
الله يدفع بالسلطان معضلة ۞ عن ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل • وكان أضعفنا نهبا لأقوانا •
وروى الحافظ أبو نعيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله أخبرني عن السلطان الذي
ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو • قال
ظل الله في الأرض إن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر
وإن أساؤوا فعليكم الصبر وعليهم الإصر يعني الوزر ولا
يحملنكم إساءته على أن تخرجوا من طاعته فإن الذل في
طاعة الله خير من خلود النار ولولاهم ما صلح الناس •
وروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال السلطان ظل الله ورمحه في الأرض فمن
نصحه ودعى له اهتدى ومن غشه ودعى عليه ضل

وروي

وروي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لا تسبوا
السلطان فإنه ظل الله في الأرض به يقوم الحق ويظهر
الدين • وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين •
وقال مالك بن دينار رحمة الله عليه وجدت في
بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوك قلوب الملوك
بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني
جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا ألسنتكم بسب الملوك
ولكن توبوا إلى الله يعطفهم عليكم • ومما جاء

في طاعة ولاة أمور الإسلام

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم • وفي صحيح البخاري •

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بايعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع
والطاعة والنصح لكل مسلم ، وعن أبي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أطاعني
فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري
فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني ، وقد ورد
في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر
بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته ومحبته والدعاء له
ولو تتبعت ذلك لطال الكلام لكن اعلم أرشدك الله
وإياي إلى الاتباع ، وجنبنا الزيغ والابتداع ، أن

من قواعد الشريعة المطهرة ، والملة الحنيفية المحررة
أن طاعة الأئمة ، فرض على كل الرعية ، وأن طاعة
السلطان تؤلف شمل الدين ، وتنظم أمر المسلمين ، وأن
عصيان السلطان يهدم أركان الملة ، وأن أرفع
منازل السعادة طاعة السلطان ، وأن طاعته عصمة
من كل فتنة ، وبطاعة السلطان تقام الحدود ،
وتؤدى الفروض ، وتحقن الدماء ، وتؤمن السبل ،
وما أحسن ما قالت العلماء أن طاعة السلطان هدى
لمن استضاء بنورها ، وأن الخارج من طاعة السلطان
منقطع العصمة ، بريء من الذمة ، وأن طاعة السلطان
حبل الله المتين ، ودينه القويم ، وأن الخروج منها

خروج من انس الطاعة إلى وحشة المعصية ٭ ومن غش
السلطان ضل وزل ٭ ومن أخلص له المحبة والنصح حل من
الدين والدنيا في أرفع محل ٭ وقد أجمعت العقول
وشهدت البصاير بأن من عظم سلطان الله في أرضه
المؤمن على خلقه وسمع له وأطاع ووالاه وشايعه حمد يومه
وغده ٭ ورعى من العيش أرغده ٭ ومن حاد عن كلمته
وحال عن طاعته ٭ كتبت عليه الذلة ٭ ولزمته الشقوة ٭
نعوذ بالله من ذلك ونسأله أن يقينا شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا وأن يلهمنا رشدنا بمنه وكرمه ورحمته

الباب الثاني

في ترغيب السلطان في العدل والإحسان

قال الله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان ٭
وقال تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ٭
وقال تعالى وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ٭
وقال تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب ٭ والآيات في ذكر الأمر
بالعدل والنهي عن الجور كثيرة ٭ وروى ابن سيرين ٭
من حديث أبي هريرة يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة
وقال مسروق رحمه الله لان اقضي يوما بحق احب الي
من ان اغزو سنة في سبيل الله ويقال عدل السلطان
انفع من خصب الزمان وقالت الحكما من حرم العدل
فلا خير له ولا للناس في سلطانه ٭ وفي منثور الحكم
اذا عدل السلطان في ما قرب منه صلح له ما بعد عنه
فضل الملوك في الاغضا ٭ وشرفها في العفو وعزها
في العدل وقال بعض الحكما امير بلا عدل كغيم بلا مطر ٭
وعالم بلا ورع كارض بلا نبات ٭ وشاب بلا توبة
كشجرة بلا ثمرة ٭ وغني بلا سخا كقفل بلا مفتاح ٭ وفقر
بلا صبر كسراج بلا ضوء ٭ وامراة بلا حيا كطعام بلا ملح

وسال

وسال الاسكندر حكما اهل بابل فقال
ايما ابلغ عندكم الشجاعة او العدل قالوا اذا استعملنا
العدل استغنينا عن الشجاعة وقيل اذا رغب الملك
عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وليس لله في الارض
سلطان الا وقد اخذ عليه شرايط العدل ومواثيق ٭
الانصاف ٭ وشرايع الاحسان ٭ وكما انه ليس فوق رتبة
السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة
السلطان الشرير الجاير رتبة لشرير لان شره يعم كما
ان خير الاول يعم ٭ وكما ان بالسلطان العادل
تصلح البلاد والعباد وتنال الزلفى الى الله تعالى والفوز
بجنة الماوى ٭ كذلك بالسلطان الجاير تفسد البلاد ٭

والعباد وتقترف المعاصي والآثام، وتورث دار البوار

وبيان ذلك أن السلطان إذا عدل انتشر العدل
في رعيته، فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما
بينهم، ولزموا قوانين العدل، فمات الباطل، وذهبت
رسوم الجور، وانتعشت قوانين العدل، فأرسلت السماء
غياثها، وأخرجت الأرض بركاتها، ونمت تجاراتهم
وزكت زروعهم، وتناسلت أنعامهم، ودرت أرزاقهم
ورخصت أسعارهم، وامتلأت أوعيتهم، فواسى البخيل
وأفضل الكريم، وقضيت الحقوق، وأعيرت المواعين،
وتهادوا فضول الأطعمة والتحف، فهان الطعام لكثرته
وذل بعد عزته، فتماسكت على الناس مروآتهم، وانحفظت

عليهم

عليهم أديانهم، وإذا جار السلطان انتشر الجور في البلاد
وعم العباد، فرقت أديانهم، واضمحلت مروآتهم،
ففشت فيهم المعاصي، وذهبت أماناتهم، فضعفت
النفوس، وقنطت القلوب، فمنعوا الحقوق، وتعاطوا
الباطل، وبخسوا المكيال والميزان، فرفعت منهم
البركة، وأمسكت السماء غياثها، ولم تخرج الأرض
ريعها ونباتها، فقل في أيديهم الطعام، فقبضوا على
الفضل الموجود، وتناجروا على المفقود، فمنعوا الزكوات
المفروضة، وبخلوا بالمواساة المسنونة، وقبضوا
أيديهم عن المكارم، وتنازعوا المقدار اللطيف
وتجاحدوا القدر الخسيس، ففشت فيهم الأيمان الكاذبة

والغش في البيع، والخداع في المعاملة، والمكر والحيلة
في القضا والاقتضا، ولا يمنعهم من السرقة إلا العار
ومن الزنا إلا الحيا، فيظل أحدهم عاريا من محاسن دينه
متجردا عن جلباب مروته، وأكثر همه قوت دنياه،
وأعظم مسراته أكله من هذا الحطام، ومن عاش كذلك
فبطن الأرض خير له من ظهرها **وقال وهب بن منبه**
إذا هم الملك بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في أهل
مملكته في الأسواق والزرع والضرع وكل شيء، وإذا
هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في أهل
مملكته كذلك، وقال الوليد بن هشام إن الرعية
لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه، وقال سفيان

الثوري رضي الله عنه لأبي جعفر المنصور إني لأعلم
رجلا إن صلح صلحت الأمة قال ومن هو قال أنت
وقال ابن عباس رضي الله عنه إن ملكا من الملوك
خرج يسير في مملكته مستخفيا بمكانه فنزل على رجل
له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة
فعجب الملك لذلك وحدث نفسه بأخذها فلما راحت
عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالأمس فقال له
الملك ما بال حلابها نقص أرعت في غير مرعاها بالأمس
قال لا ولكن أظن أن ملكنا هم بأخذها فنقص لبنها
فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة
فعاهد الملك الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه لا يأخذها

فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك
وعاهد ربه لأعدلن ما بقيت ومن المشهور بأرض المغرب
أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو
وأن كل قصبة منها تعصر ملأ قدح فعزم على أخذها
منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم إنها
عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها أين الذي
كان يقال فقالت هو الذي بلغك إلا أن يكون الملك
قد عزم على أخذها مني فارتفعت البركة فتاب الملك
وأخلص لله نيته أن لا يأخذها أبدا ثم أمرها فعصرت
فجاء ملء القدح وحكى سيدي أبو بكر الطرطوشي
رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ

ممن

ممن كان يروي الأخبار بمصر قال كان بصعيد مصر
نخلة تحمل عشرة أرادب ولم يكن في ذلك الزمان
نخلة تحمل بنصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا
في ذلك العام ولا تمرة واحدة وحكى أيضا رحمه الله
قال شهدت في ثغر الاسكندرية والصيد
مطلق للرعية السمك يعلو الماء لكثرته وكانت الأطفال
تصيده بالخرق ثم حجر الوالي عليه ومنع الناس من صيده
فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد إلى يومنا هذا
وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون
ضمائرهم إلى الرعية إن خيرا فخير وإن شرا فشر
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو إليه

من خراب مدينته ويسأله ما الأمر بها فكتب إليه عمر
قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك
بالعدل ونق طرقها من الجور فإنه مرمتها والسلام

ومن كلام كسرى لا ملك إلا بالجند ولا جند إلا
بالمال ولا مال إلا من البلاد ولا بلاد إلا بالرعايا
ولا رعايا إلا بالعدل وقال بعض العلماء العدل
ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف
من القوي وكان أحمد بن طولون والي مصر متحليا
بالعدل مع تجبره وسفكه الدماء وكان يجلس للمظالم
وينصف المظلوم من الظالم حكي أن ولده العباس
استدعى بمغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صالحي

ومعها

ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس إليه
وأخبره بذلك فأمر بإحضار ذلك الرجل الصالح فلما
أحضر إليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال
أفعلمت هو لمن قال نعم هو لابنك العباس قال
فلم لا أكرمته لي قال أكرمه لك في معصية الله تعالى
والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء
بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والنبي
صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فأطرق أحمد بن طولون رأسه ثم قال كل منكر
رأيته فغيره وأنا من ورائك وقيل لما ظلم أحمد
ابن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه

وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكوه اليها رضي الله عنها
فقالت لهم متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت
في طريقه وقالت يا احمد بن طولون فلما راها عرفها فترجل
عن فرسه واخذ منها الرقعة وقراها فاذا فيها ملكتم
فاسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت
اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام
الاسحار نافذة لا سيما من قلوب اوجعتموها واجساد
اعريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا
فانا مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته
وحكي ان رجلا من بعض العقلا غصبه بعض الولاة

ضيعة

ضيعة له فاتى الى المنصور فقال له اصلحك الله اذكر
لك حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا قال بل اضرب المثل
فقال ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما
يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه ان لا ناصر له
غيرها فاذا اشتد كان فراره الى ابيه فاذا بلغ وصار
رجلا وحدث به امر شكاه الى الوالي لعلمه انه اقوى من ابيه
فاذا زاد عقله شكى الى السلطان لعلمه انه اقوى ممن
سواه فان لم ينصفه السلطان شكى الى الله تعالى لعلمه
انه اقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك
احد اقوى منك الا الله عز وجل فان انصفتني والا رفعت
امري الى الله تعالى فاني متوجه في الموسم الى بيته وحرمه

فقال بل نضعفك وأمر بان يكتب الي واليه برد ضيعته
اليه وحكي ان يهوديا وقف لعبد الملك بن مروان
فقال يا امير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمني فانصفني
منه واذقني حلاوة العدل فاعرض عنه ثم وقف له
ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال
يا امير المؤمنين انا نجد في التورية المنزلة علي موسي بن
عمران عليه الصلاة والسلام ان الامام لا يكون شريكا
في ظلم احد حتي يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك فلم يزله
فقد شركه في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك
كلامه فزع وبعث في الحال الي من ظلمه فعزله واخذ
حق اليهودي منه وقال يحيي بن اكثم رحمه الله تعالي

ماشيت المامون في بستان والشمس عن يساري وكان
المامون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس ايضا علي فقال
لي المامون تحول الي مكاني واتحول انا الي مكانك
حتي تكون في الظل كما كنت انا واقيك الشمس كما وقيتني
فان اول عدل الرجل ان يعدل في بطانته ثم الذين
يلونهم حتي يبلغ العدل الطبقة السفلي حكي
ان ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح مسترجعا
مسترجعا مهتما بامور الرعية والمظلومين وانه لا يسمع
استغاثتهم فامر بان ينادي في بلده ان لا يلبس احد
في مملكته ثوبا احمر الا مظلوم وقال لئن منعت سمعي
فاني لم امنع بصري وكان كل مظلوم يلبس ثوبا احمر

ويقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته فهذا كله من شدة
اهتمامهم بالعدل وحسن السيرة ومتى اراد الملك
حسن الصيت ودوام الملك وجميل الذكر فليقم سوق
العدل وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى
وقد ساله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن النجاة والخلاص
من ولاية امور المسلمين ان اردت النجاة غدا فاجعل
كبير القوم عندك ابا واوسطهم اخا واصغرهم ولدا
فاكرم اباك واحسن الى اخيك وتحنن على ولدك فانك
واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته فهذا
طريق اقامة العدل الشرعي فينبغي للملك
الذي جعله الله راعيا لهذه الامة وهو مسؤل عن رعيته

ان

ان لا يكون مهملا لما يرفع اليه من ضروراتهم بحيث
يتصدى بنفسه لكشف ظلامة مظلوم واغاثة
ملهوف واحيا معروف الى غير ذلك من ازاحة
الضرورات وازالة المنكرات واثبات الخيرات
وان يعدل بين الرعية ما استطاع فان العدل به يقوم
الملك ويدوم وينبغي له ايضا ان يتلو دايما قول الله
تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله
عاقبة الامور فان في هذه الاية الشريفة ارشادا
الى القيام بهذه الوظايف الاربع والاتيان بشعاير الاسلام
ومعظم اركانه وهي الصلوة والزكوة والامر بالمعروف

والنهي عن المنكر. وفي الأمر بالمعروف إيجاد المصالح
وفي النهي عن المنكر درأ المفاسد فمن ولاه الله تعالى.
على خلقه أحق بالعمل بهؤلاء الكلمات الأربع والله الموفق

وما جاء في فضل الإمام العادل.

ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله
في ظله يوم لا ظل إلا ظله. إمام عادل. وشاب نشأ في
عبادة الله تعالى. ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه
حتى يعود إليه. ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك
وتفرقا عليه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. ورجل
دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما
تنفق يمينه. فتأمل أصلحك الله كيف بدأ صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث الشريف بالإمام العادل ففي ذلك
أقوى دليل على فضله وشرفه وعلو منزلته عند الله تعالى
وفي صحيح مسلم رضي الله عنه من حديث عبد الله بن عمر.
رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
المقسطون عند الله يوم القيمة على منابر من نور عن يمين
الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم.
وأهليهم وما ولوا وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب الناس
إلى الله عز وجل يوم القيمة وأقربهم منه مجلسا إمام

عادل وإن أبغض الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة
وأشدهم عذابا إمام جاير، وليعلم أنه ليس فوق السلطان
العادل منزلة لأحد إلا نبي مرسل أو ملك مقرب وروى
الحافظ أبو نعيم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمل الإمام العادل
في رعيته يوما واحدا أفضل عند الله من عمل العابد
في أهله مائة عام أو خمسين عاما وفي سنن أبي داود رحمه الله
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم
الإمام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم تحمل
على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وروى عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

ان

إن في الجنة قصرا له خمسة آلاف باب لا يدخله ولا يسكنه
إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل وقال
الفضيل بن عياض رحمة الله عليه لو أن لي دعوة مستجابة
ما صيرتها إلا في الإمام العادل لأني لو جعلتها لنفسي لم
تجاوزني ولو جعلتها للإمام العادل كان في صلاح الإمام
صلاح البلاد والعباد وقال أيضا رضي الله عنه
النظر في وجه الإمام العادل عبادة وروي عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن من تعظيم جلال الله إكرام الإمام العادل فيجب
على كل من الرعية أن يرغب إلى الله تعالى في إصلاح الإمام
وأن يبذل له نصحه وأن يخصه بصالح دعائه، فإن في صلاحه

صلاح العباد وفي فساده فساد العباد والبلاد • وكانت
العلما رضي الله عنهم يقولون إن استقامت لكم أمور السلطان
فأكثروا حمد الله وشكره • وإن جاءكم منه ما تكرهونه
فهو ما تستوجبونه بذنوبكم • وأقيموا عذر السلطان •
لانتشار الأمور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب
المملكة • واستيلاف الأعدا وإرضا الأوليا وقلة الناصح
له • وكثرة المدلس عليه • فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن قام
بنصحه ومحبته والدعا له بالتوفيق والخير والصلاح إنه قريب مجيب •

الباب الثالث

في اصطناع المعروف • وإغاثة الملهوف

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى

وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
وروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه إليه
أنفعهم لعياله ومعنى قوله عيال الله أي فقرا الله والخلق
كلهم فقرا الله تعالى وهو الذي يعولهم وفي مسند الشهاب
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وروى ابن
حبان في صحيحه عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف
المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن لله عبادا أخلقهم لقضا حوايج الناس آلى على نفسه
أن لا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم

منابر من نور يحدثون الله تعالي والناس في الحساب
وروي أيضا في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن لله من خلقه وجوها خلقهم لحوائج الناس يرغبون في الأجر
ويعدون الجود مجدا والله يحب مكارم الأخلاق وروي
الحافظ أبو نعيم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل خلقا
خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم في حوائجهم
أولئك الآمنون من عذاب الله تعالي
وروي الحافظ أبو نعيم أيضا رضي الله عنه من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا

عند

عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له قال جامعه
وهذا ثواب عظيم قد تفضل الله تعالي به لمن قضى لأخيه
المؤمن حاجة أو صنع معه معروفا أو أسدي إليه برا
فالسعيد من وفقه الله إلي ذلك والشقي من لم يسلك
به هذه المسالك وروي ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه
كربة ومن ستر علي مسلم ستر الله عورته ولا يزال الله
في عونه ما دام في عون أخيه وروي الطبراني في الأوسط
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له

شعلتين من نور يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيه إلا رب
العزة وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال مر بي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فقال يا أبي من هذا الرجل
معك فقلت يا رسول الله غريم لي فأنا ألازمه قال
فأحسن إليه يا أبي ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لحاجته ثم انصرف علي وليس معي الرجل فقال يا أبي ما فعل
غريمك وأخوك قلت وما عسى أن يفعل يا رسول الله تركت
ثلث مالي عليه لله وتركت الثلث الثاني لرسول الله وتركت
الباقي لمساعدته إياي على وحدتي فقال رحمك الله يا أبي
ثلاث مرات بهذا أمرنا ثم قال يا أبي إن الله جعل
للمعروف وجوها من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب

إليهم

إليهم فعاله ويسر على طلاب المعروف طلبه إليهم فهم كالغيث
يرسله الله عز وجل إلى الأرض الجدبة فيحييها ويحيي بها
أهلها وإن الله جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم
المعروف وبغض إليهم فعاله وحظر على طلاب المعروف
طلبه إليهم وحظر عليهم إعطاءه إياهم فهم كالغيث
يحبسه الله عز وجل عن الأرض الجدبة فيهلك الله عز وجل
بحبسه الأرض وأهلها كذا رواه الطبراني رحمه الله
وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا اختصهم بالنعم
لمنافع العباد يقرها في أيديهم ما بذلوها فإذا منعوها
حولها منهم وجعلها في غيرهم رواه أبو نعيم والطبراني

قال جامعه غفر الله له ينبغي لمولانا السلطان ثبت الله
ملكه وخلد دولته واطال مدته وادام نعمه
ان يشنف مسامعه الشريفه بسماع هذه الاحاديث
المشرفة اللطيفة الواردة في اصطناع المعروف
واغاثة الملهوف وان يحسن الى جميع الرعيه ما استطاع
ليكون ذلك سببا لانقيادهم اليه وانعطاف قلوبهم
عليه فلعل ان تصادفه دعوة صالح منهم او دعوة
مظلوم ازال ظلامته او فقير منهم حصل له الغنا من
واسع فضله فانها مستجابة منهم فيفلح بها دنياه واخرته
وينبغي للملك ايده الله به الدين واطال بقاه
للمسلمين ان يضع معروفه في العلما وطلبة العلم

الفقرا

الفقرا السالكين الى معرفة مولاهم احسن طريقه
وهم اولياوه على الحقيقه وهم الذين يحمون الشريعة
ويقيمون الدين وبهم تتم مصالح المسلمين وهم
المشار اليهم بقوله صلى الله عليه وسلم ولن تزال طايفة
من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله
وهم على ذلك وليعلم الملك ان سهام ادعيتهم
صايبة لا ترد وان انفاسهم الزكية محرقة لا تصد
قال الامام الشافعي رضي الله عنه ان لم يكن العلما
العاملون اوليا الله فليس لله ولي فاذا كان للعلما رضي الله
عنهم هذه المنزلة عند الله تعالى فينبغي للملك
ان يتفقد احوالهم وان ينزلهم منازلهم وان يحسن

إلى الفقراء منهم وأن يعين طلبة العلم الفقراء على طلبه
وأن يكفيهم من بيت مال الله الذي جعله الله في يديه
أمانة عنده ليس هو فيه إلا كواحد منهم وقد وجدت
منقولاً في بعض كتب السادة علماء الحنفية رضي الله عنهم
أنه يعطي للمشتغل بالعلم في كل سنة من بيت المال
خمسون مثقالاً من الذهب وقال أبو الليث رضي الله عنه
من حفظ القرآن كان حقه في بيت المال في كل سنة
مائتي دينار وألفي درهم إن حرم ذلك في الدنيا لم يحرمه
في الآخرة وإن حفظ نصف القرآن فله النصف من ذلك
وحكى الغزالي رضي الله عنه أنه يعطي لحافظ القرآن
المشتغل بالعلم في كل عام مائتي مثقال ذهباً هذا

ما نقلته مما قررته العلماء رضي الله عنهم في كتبهم في مقدار
ما يكفي طالب العلم الفقير من بيت المال وقد رأيت
أن ألحق ذلك بمنقبة في مثلها يتنافس العقلاء ويرغب
فيها الملوك والوزراء وهي ما حكاه سيدي أبو بكر
الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال
إني لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك الغالب
على القائم خواجا بزرك رحمه الله وزير لأبي الفتح ملك الترك
ابن البارسلان وكان قد وزر لأبيه من قبله فقام بدولتهما
أحسن قيام فشيد أركانهما وشد بنيانهما واستمال
الأعداء ووالى الأولياء وعم إحسانه العدو والصديق
والمبغض والحبيب والبعيد والقريب حتى ذل الخلق

لسلطانه وكان الذي مهد له ذلك بتوفيق الله تعالى
انه اقبل بكليته على مراعاة حملة العلم فبنى دور العلم
للفقهاء وانشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات
للصوفية والعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقر
ثم أجرى لهم الجرايات والكساوي والنفقات وأجرى
الحبر والورق لمن كان من طلبة العلم مضافا الى أرزاقهم
وعم بذلك سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل
الشام وهي بيت المقدس الى أقصى الشام الأعلى وديار بكر
والعراقين وخراسان بأقطارها الى سمرقند من وراء النهر
جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبد
أو زاهد مقيم في زاويته الا وكرامته له شاملة ونعمته

عليه سابغة وكان الذي يخرج من بيوت أمواله كل
سنة ستمائة ألف دينار في هذه الأبواب فوشى الوشاة
الى أبي الفتح وأوغروا صدره عليه فقالوا ان هذا المال
المخرج من بيوت الأموال تقيم به جيشا يركز رايته
في سور قسطنطينية فخامر ذلك قلب الملك فلما دخل
عليه قال له يا أبت بلغنا أنك تخرج من بيوت الأموال
في كل سنة ستمائة ألف دينار الى من لا ينفعنا
ولا يغني عنا فبكى نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ
أعجمي لو نودي علي لم أحفظ خمسة دنانير وأنت غلام تركي
لو نودي عليك لم تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشتغل
بلذاتك ومنهمك في شهواتك وأكثر ما يصعد الى الله تعالى

معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنوايب
إذا احتشدوا ولو كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان
وقوس لا ينتهي مدا مرماه ثلاث مائة ذراع وهم مع ذلك
مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والطنبور
وأنا أقمت لك جيشا يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك
ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفا بين يدي
ربهم فأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم
ومدوا إلى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فأنت
وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعائهم تثبتون
وتنصرون وببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق
سهامهم إلى السماء السابعة بالتضرع والدعاء إلى الله لك

ولجيوشك

ولجيوشك فبكى الملك بكاء شديدا وقال شاباش يا أبت
شاباش يا أبت أكثر لي من هذا الجيش فهذه منقبة
عظيمة لم يسمع بمثلها فليبالغ الملك أيده الله تعالى
في اكتساب الثناء ليتأسى به من يجد نفسه من الكرماء
جدد الله له في كل وقت نصرا وملكه بساط الأرض
برا وبحرا **فصل** فيما جاء من الأحاديث الواردة في
إغاثة الملهوف ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال على كل مسلم صدقة قالوا يا رسول الله أرأيت
إن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا
أرأيت إن لم يستطع قال يعين ذا الحاجة الملهوف

قالوا أرأيت إن لم يفعل قال يأمر بالمعروف قالوا أرأيت
إن لم يفعل قال يمسك عن الشر فإنها له صدقة وروي
عمرو بن مرة وكانت له صحبة أنه قال لمعاوية إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما وال أو قاض
أغلق بابه دون ذوي الحاجات والخلة والمسكنة أغلق الله
بابه دون حاجته وخلته ومسكنته رواه الترمذي
وأحمد رحمهما الله والخلة بالفتح الحاجة وعن سمرة
ابن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل رسول الله
وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الأسير
وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف إلى أخيك وتدفع عنه

بها كريهته رواه الطبراني في المكارم ويشهد
لهذا الحديث ما رواه الخرايطي في اصطناع المعروف
عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان
قال وكيف ذاك يا رسول الله قال الشفاعة تحقن بها
الدم وتجر بها المنفعة إلى آخر وتدفع بها المكروه عن آخر
وروي الخرايطي أيضا في مكارم الأخلاق عن
معوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اشفعوا إلي تؤجروا وإني أريد الأمر
فأؤخره كي تشفعوا إلي فتؤجروا فينبغي للملك
أيد الله به الدين وأعانه على القيام بمصالح المسلمين أن

يأمر أهل الخير والصلاح أن يشفعوا عنده وأن يظهر لهم
السرور بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه
كان يأمر الصحابة رضي الله عنهم بذلك فيقول اشفعوا
إلي كما بيناه في الرواية وقد شرع لنا ذلك ليتستر ولاة الأمور
بذلك ۞ فسلك هذه المسالك وعن أنس بن مالك ۞
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة
واحدة منها يصلح الله بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات
رواه أبو يعلى والبزار ۞ وروى الدارقطني في المستجاد
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير

كفاعله

كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان ۞ وعن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة إلا على رحيم قلنا
يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم
نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين ۞
رواه أبو يعلى والطبراني رحمهما الله ۞ وعن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الله عز وجل إن كنتم تريدون رحمتي
فارحموا خلقي ۞ رواه أحمد بن عدي في كتاب الكامل ۞
وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله عز وجل أنا الله قدرت الخير

والشر فطوبى لمن جعلت مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعلت
مفاتيح الشر على يديه رواه الطبراني ، وروى ابن ماجة
رحمه الله في سننه من حديث سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن هذا الخير خزائن لتلك الخزائن مفاتيح فطوبى لعبد
جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لمن جعله الله
مغلاقا للخير مفتاحا للشر ، وروى الطبراني في المعجم
الكبير والأوسط والصغير أن رجلا جاء إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله
وأي الأعمال أحب إلى الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحب الناس إلى الله عز وجل أحبهم للناس ، وأحب

الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه
كربة أو تقضي عنه دينه أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي
مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد
شهرا يعني في مسجد المدينة ومن كف غضبه ستر الله
عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه
ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة
حتى يثبتها ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام ، وعن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتدرون ما يقول الأسد في زئيره ، قالوا
الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد
من أهل المعروف ، رواه أبو منصور الديلمي في الفردوس

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك
سره الله عز وجل رواه الطبراني في الصغير بإسناد حسن
وروت عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا
لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبراني رحمه الله
وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجل على مؤمن سرورا إلا
خلق الله عز وجل من ذلك السرور ملكا يعبد الله عز وجل
ويوحده فإذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور
فيقول ما تعرفني فيقول له من أنت فيقول أنا السرور

الذي

الذي أدخلتني على فلان أنا اليوم أونس وحشتك
وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهدك
مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك
منزلك في الجنة رواه ابن أبي الدنيا ۞ وعن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أنه قال والذي وسع سمعه الأصوات
ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور
لطفا فإذا أنزلت به نازلة جرى إليها كالماء في انحداره
حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل وقال لجابر
ابن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه يا جابر من كثرت
عليه نعمة الله كثرت حوايج الناس إليه فإن قام بما يجب لله
فيها عرضها للدوام والبقا وإن لم يقم فيها بما يجب لله

عرض نعمته لزوالها • نعوذ بالله من زوال النعمه •

ونساله التوفيق والعصمه •

الباب الرابع

في اقتدا الامام • بعلما الاسلام •

يا ايها الملك ثبتك الله ونصرك • واقامك في العدل وبصرك
ليعلم انه ليس احد فوق ان يومر بتقوى الله • ولا احد
دون ان يامر بتقوى الله • ولا احد اجل قدرا من ان
يقبل امر الله • ولا ارفع خطرا من ان يتعلم حلم الله • ولا
اعلى شانا من ان يتصف بصفات الله • ومن صفات الله تعالى
العلم الذي وصف به سبحانه نفسه وتمدح بسعته •
فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض فالكرسي

هو العلم والكراسي هم العلما • قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلما • وعن معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية • ودراسته تسبيح
والبحث عنه جهاد • وطلبه عبادة • وتعليمه صدقة • وبذله
لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام • وبيان سبل الجنة
والمونس في الوحشة • والجليس في الوحدة • والصاحب
في الغربة • والدليل على السرا • والمعين على الضرا والزين
عند الاخلا • والسلاح على الاعدا • وبالعلم يبلغ العبد
منازل الاخيار في الدرجات العلى • ومجالسة الملوك
في الدنيا • ومرافقة الابرار في الاخرة • والفكر في العلم

يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم
توصل الارحام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال
والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبه يطاع ويعبد
وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال يوزن مداد
العلماء ودم الشهداء فلا يفضل احدهما على الآخر يوم القيمة
ولغدوة في طلب العلم احب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج
احد في طلب العلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة
وقال موسى عليه السلام من احب الناس اليك يا رب
قال عالم يطلب علما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وروي
كفضل القمر على سائر الكواكب وقال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم هلاك امتي في شيئين ترك العلم وجمع
المال وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن افضل الاعمال فقال العلم بالله والتفقه في دينه
وكررهما عليه فقال الرجل يا رسول الله اسألك عن العمل
وتخبرني عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل
العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال
الفضيل بن عياض رحمه الله شر العلماء من يجالس الامراء اذا
لم ينصحهم في دينهم وخير الامراء من يجالس العلماء للتعلم
منهم وقال لقمن عليه السلام لابنه يا بني جالس العلماء
وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور العلم
كما يحيي الارض بوابل السماء وكان عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه إذا رأى طلبة العلم قال مرحبا بكم ينابيع
الحكم ومصابيح الظلم خلقان الثياب جدد القلوب
ريحان كل قبيلة ۞ وقال علي رضي الله عنه كفى بالعلم
شرفا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه
وكفى بالجهل ضعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا هو
نسب إليه ۞ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال على باب الجنة شجرة تحمل
ثمارا كثدي النسا تخرج من تحتها عين ما يشرب منها
العلما والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش ۞

۞ قال بعض البلغا ۞

۞ العلم أنفس شي أنت ذاخره ۞ من يدرس العلم لم تدرس مفاخره ۞

۞ أقبل على العلم واستقبل مقاصده ۞ فأول العلم إقبال وآخره ۞

۞ وقال آخر ۞

۞ تعلم إذا ما كنت لست بعالم ۞ فما العلم إلا عند أهل التعلم ۞
۞ تعلم فإن العلم أزين للفتى ۞ من الحلة الحسنا عند التكلم ۞

۞ قال جامعه غفر الله له ۞

فإذا كان للعلم وأهله هذه الفضائل السنية والمراقي
العلية ۞ فكيف يستنكف ملك أو ذو رفعة عن طلب
العلم ۞ هذا موسى كليم الله ارتحل من الشام إلى مجمع
البحرين في أقصى المغرب على بحر الظلمات إلى لقا الخضر
عليه السلام ليتعلم منه فلما ظفر به قال له هل أتبعك
على أن تعلمني مما علمت رشدا هذا وهو نبي الله وكليمه ۞

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأولين والآخرين
قد أوصاه ربه وعلمه كيف يستنزل ما في خزاينه فقال
تعالى وقل رب زدني علما ۰ ولو كان في خزاينه أشرف من العلم
لنبهه عليه ۰ وهذا آدم عليه السلام لما فخرت الملايكة
بتسبيحها وتقديسها لربها وفخر آدم عليه السلام بالعلم
فقال أنبيوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ۰ فلما عجزوا
أمرهم بالسجود وأخلق بخصلة تستدعي السجود لحاملها
أن يتنافس فيها كل ذي لب سليم ۰ وعقل مستقيم ۰
وهذا أفضل الخطاب لمن تدبره فينبغي للملك
ثبت الله نصره ۰ ورفع على كل ذي رفعة قدره ۰ أن يعلم
أن أكثر الناس حاجة إلى العلم والتفقه أكثرهم عيالا

واتباعا

واتباعا وحشما وأصحابا ۰ والخلق مستمدون من السلطان
الخلايق السنية والطرق العلية ۰ مفتقرون إليه في الأحكام
وقطع التشاجر والخصام ۰ فهو أحوج خلق الله إلى معرفة
العلم ۰ وجمع الحكم ۰ وشخص بلا علم كبلد بلا أهل
وأفضل ما في السلطان خصوصا وفي الناس عموما
محبة العلم ۰ والتحلي به ۰ والتشوق إلى استماعه ۰ والتعظيم
لحملته ۰ فإن ذلك يدل على قوة الإنسانية فيه وبعده من
البهيمية ومضاهاته للعالم العلوي ۰ وهو من أوكد
ما يتحبب به إلى الرعية ۰ وإذا كان الملك والعياذ بالله
خاليا من العلوم ركب هواه وأضر برعيته كالدابة
بلا رسن تمر في غير طريق ۰ وقد تتلف ما تمر عليه وليس أحد

من أهل الدرجات العلية، والمراتب السنية أحوج إلى
مجالسة العلماء، وصحبة الفقهاء، ودراسة كتب العلوم
والحكم، ومطالعة دواوين العلماء وسير الحكماء من السلطان
وإنما يكون ذلك من وجهين **أحدهما** أنه قد نصب
نفسه لممارسة أخلاق الناس، وفصل خصوماتهم، وتعاطي
حكوماتهم، وكل ذلك يحتاج إلى علم بارع ونظر ثاقب،
وبصيرة بالعلم قوية، ودراسة طويلة، وإلى هذا
أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله من نصب نفسه
للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره،
وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه
ومؤدبها أحق بالإجلال من مؤدب الناس **والثاني**

ان

أن من سوى السلطان من الناس لا يجدون من يكثر عليهم
ويعارضهم ويذكر لهم مساويهم ويخالفهم في مقاصدهم
فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة نفوسهم وتعلمهم
مراشدهم، ومناظرة الأكفاء، ومعاشرة النظراء،
تنقيح للعقول وتهذيب للنفوس، وتدريب لمآخذ الأحكام
بخلاف السلطان فإن ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك
إذ لا يلقاه ولا يجالسه إلا معظم لقدره، مبجل لشأنه،
وساتر لمساويه، ومادح له بما ليس فيه وإنما جوابهم له
صدق الملك **وينبغي للملك** وفقه الله
للخير والصلاح، وأيده بالنصر والفلاح، أن يتخذ شخصا
عالما صالحا من علماء مذهبه، يعتمد عليه في أقواله، ويرجع

إليه في أفعاله. ليذاكره الأحكام الشرعية. وليمارسه
في تفهم الآداب المرضية. فيصير بذلك عند الله في
أعلى مقام. ويفوز منه بجواره في دار السلام قال الله
تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.
وقال عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين وإنما العلم بالتعلم وقال ابن عباس
رضي الله عنه كونوا ربانيين حكماء علماء ويقال الرباني
الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال
عمر رضي الله عنه تفقهوا قبل أن تسودوا وقال
أبو عبد الله البخاري رضي الله عنه وبعد أن تسودوا وقد
تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم.

فينبغي

فينبغي للملك جمله الله بالعلم. وزينه بالحلم
أن لا يحسب له عذرا في التعليم بما روي في الأخبار.
مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر.
والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء. فقد سمع الأحنف
رجلا يقول التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال
له الأحنف الكبير أكبر عقلا ولكنه أشغل قلبا
فحص عن المعنى ونبه على العلة. وقد كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يتعلمون شيوخا وكهولا وأحداثا وكانوا
يتعلمون العلم والقرآن والسنن وهم بحور العلم.
وأطواد الحكم والفقه وينبغي له أيده الله ونصره
أن يجمع إلى نفسه مشايخ الإسلام. وعلماء الأنام. وحملة العلم

الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه وهم الأدلاء على الله
والقائمون بأمر الله والحافظون لحدود الله والناصحون
لعباد الله وهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم
ففي تعظيمهم وتقريبهم امتثال أمر الله وتعظيم لمن أثنى الله
عليه وكيف لا وقد قرنهم الله تعالى في سلطانه واصطفاهم
لخالص معرفته فقال تعالى جل من قائل شهد الله أنه
لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط
لا إله إلا هو العزيز الحكيم فبدأ سبحانه بنفسه
وثنى بملائكته وثلث بأولي العلم فيجب ترفيع مجالسهم
وتمييز مواضعهم عن من سواهم وإكرامهم والاقتداء

بهم في أفعالهم والتسليم لهم في أقوالهم وأن لا يقطع
أمر دونهم ولا يفصل حكم إلا بمراجعتهم ففي ذلك
استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم بالدعاء لملكهم
واجتماعهم على محبته وتوقيره قال جامعه ينبغي للملك
أن يتخذ العلماء شعارا والصالحين دثارا فيدور الملك
بين نصائح العلماء ودعوة الصلحاء وأعظم بملك
يدور بين هاتين الخصلتين أن يقوم عموده ويطول أمده
فقد أبذلت المجهود في نصحي لك أيها الملك في دين الله تعالى
فإن النصح في دين الله تعالى يجب بذل المجهود فيه للملوك
والنصيحة لهم هي معاونتهم على الحق وطاعتهم وأمرهم
به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما

غفلوا عنه أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين • وترك الخروج
عليهم بالسيف • وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة
خلفهم والجهاد معهم • وأن يدعى لهم بالصلاح وحثهم
على التخلق بجميع ما ذكرته في كتابي هذا من أنواع
النصيحة والنصيحة فرض كفاية إذا قام بها من يكفي
سقط عن غيره وهي لازمة على قدر الطاقة • جعلنا الله
ممن قام بها • وألهم ملوكنا إلى استماعها • والعمل بها
وأقول كما قال شعيب عليه السلام إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب • اللهم انصر مولانا السلطان • واجعله من أهل
طاعتك • العاملين بكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين

الباب الخامس

في الخصال المرضية • من إمام الرعية

ينبغي للملك خلد الله ملكه • وعجل لعدوه هلكه
أن يشكر نعمة الله تعالى فيما أنعم به عليه من بلوغه
هذه المنزلة الشريفة • والدرجة العالية المنيفة
وأن يتخلق بأخلاق الأنبياء • والخلفاء الأصفياء • وقد
جمعت له في هذا الباب نبذة جليلة • من ذكر محاسن
أخلاقهم الجميلة • فقلت مستعينا بالله ومعتمدا عليه
ومفوضا أمري إليه ليعلم أنه لم تحو الأرض على بشر
أحسن خلقا من سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فكل من تخلق بأخلاقه الشريفة أو قاربها أو بعضها

كان أحسن الناس خلقا ، وكل خلق لم يعد من أخلاقه
صلى الله عليه وسلم فليس يعد من حسن الخلق ، وهذا
فصل الخطاب ، في هذا الباب لمن عقل ، وها أنا أتلوا
عليك أيها الملك من أخلاق الأنبيا المرسلين ، والخلفا
الراشدين ، والأوليا الصالحين ، والملوك السالفين ،
ما أرجوا أن ينفعني الله وإياك به قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم قالت
عايشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه
ويرضى لرضاه ، وحسبك بهذا القول منقبة للرسول
صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق ، فإذا كان
القرآن العظيم هو خلق هذا النبي الكريم ، فالقرآن

يجمع كل فضيلة ويحث عليها ، وينهى عن كل رذيلة
ويوضحها ويبينها ، وكان الحسن رضي الله عنه إذا ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرم ولد آدم
على الله عز وجل أعظم الأنبيا منزلة عند الله ، أتي بمفاتيح
خزاين الأرض فاختار ما عند الله ، كان يأكل على الأرض
ويجلس على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد
وأجلس كما يجلس العبد ، وكان يلبس المرقوع والصوف
ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويركب الحمار ويردف خلفه
ويأكل الخشن من الطعام ، ما شبع من خبز بر ثلثة أيام
متوالية حتى لقي الله ، من دعاه لباه ، ومن صافحه لم يدع
يده حتى يكون هو الذي يدعها ، يعود المريض

ويتبع الجنازة ويجالس الفقرا اعظم الناس من الله مخافة
وأتبعهم لله عز وجل بدنا لا تأخذه في الله لومة لايم قد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اما والله ما كان
يغلق دونه الأبواب ولا كان دونه حجاب وقالت
عايشة رضي الله عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرأة ولا خادما له ولا ضرب بيده شيئا الا ان يجاهد في
سبيل الله ولا خير بين أمرين الا اختار ايسرهما الا ان يكون اثما
او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس منه قال جامعه
هذه نبذة يسيرة من محاسن أخلاقه الشريفة صلى الله عليه
وسلم وقد أوتي صلى الله عليه وسلم من كريم الطباع
ومحاسن الأخلاق من الحيا والكرم والصفح وحسن العهد

ما لم

ما لم يؤت غيره ثم ما أثنى الله عليه بشيء من فضايله بمثل
ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم
وقال ابن عباس رضي الله عنه لو وزنت كلمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهي
قوله عليه السلام إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم وإنما
تسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى تسعوهم ببسط
الوجه وحسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم حسن الخلق
زمام من رحمة الله في أنف صاحبه والزمام بيد ملك
والملك يجره إلى الخير والخير يجره إلى الجنة وسوء الخلق زمام
من عذاب الله في أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان
والشيطان يجره إلى الشر والشر يجره إلى النار وقال

صلى الله عليه وسلم ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن
وروي أنس رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا
وروي أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعثت لأتمم محاسن الأخلاق قال جامعه غفر الله له
اقتضى هذا الحديث الشريف أن كل مبعوث إلى أمة إنما
بعث ليعلم الخلق حسن الخلق ۞ وأن نبينا محمدا صلى الله عليه
عليه وسلم بعث ليتمم محاسن الأخلاق فإذا حسن الخلق
امتثال الشرايع بأسرها وروى البخاري رضي الله عنه
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وقال إن من أحبكم إلي

أحسنكم

أحسنكم خلقا ۞ وكان النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض أسفاره وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فجبذه
أعرابي جبذة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه
الشريف وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي أتاك
فلست تأمر لي من مالك ولا مال أبيك فالتفت إليه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشيء ۞
وروي معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال له يا معاذ بن جبل حسن خلقك للناس فعلم
بهذا أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه تظهر ۞
جواهر الرجال والإنسان مشهور بخلقه مستور بخلقه
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما عنوان الشرف

حسن الخلق وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت
حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم
جالس في داره إذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط
من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال
لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله ۞ ومن محاسن الأخلاق
ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم رحمه الله قال
كنت ليلة من الليالي نائما عند المأمون فعطش فامتنع
عن أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فتنغص علي نومي
فرأيته وقد قام يمشي على أطراف أنامله حتى أتى موضع الماء
وكان بينه وبينه نحو من ثلاث مائة خطوة فشرب ثم رجع
يمشي على أطراف أصابعه حتى قرب الفراش الذي أنا

عليه

عليه يتخطى خطوات لئلا ينبهني حتى صار إلى فراشه ثم
رأيته آخر الليل قد قام يبول وكان يبول في أول
الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام
فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتأهب للصلاة
ثم جاءني فقال كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان
مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين
قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء وحبب إليك سيرتهم
فهناك الله بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف
دينار وانصرفت قال رحمه الله وبت عنده ذات
ليلة وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وأكب على
الأرض حتى لا يعلو صوته فأنتبه وقال ابن عباس

رضي الله عنه ورد علينا الوليد بن عتبة بن ابي سفيان المدينة
واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصاحف فوالله
ما ترك فينا الا فقيرا الا اغناه ولا مديونا الا قضى عنه
دينه ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام
احسن من الحياء ولقد شهدت منه مشهدا لو كان
من معوية لذكرته تغدينا عنده يوما فاقبل
الفراش بصحفة فعثر الغلام في الوسادة فبدرت الصحفة
من يده فوالله ما ردها الا ذقنه وانكب جميع ما فيها
في حجره وتمثل الغلام واقفا ما معه من روحه الا ما يقيم
رجله فقام الوليد فدخل فغير ثيابه واقبل الينا تبرق
اسارير وجهه فاقبل على الفراش فقال يا مسكين ما ارانا

الا روعناك اذهب فانت واولادك احرار لوجه الله
وحكي ان بعض حاشية جعفر بن سليمان سرق له
جوهرة نفيسة وباعها بمال جزيل فانفذ الى الجوهريين
بصفتها فقالوا اباعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل
الذي سرقها امسك واحضر بين يديه فلما راى ما ظهر
عليه قال له اراك قد تغير لونك الست يوم كذا
طلبت مني هذه الجوهرة فوهبتها لك واقسم بالله لقد
انسيت هذا ثم امر للجوهري بثمنها وقال للرجل خذها
الآن وبعها حلالا لا بالثمن الذي تطيب به نفسك
لا بيع خايف وحكي عن كسرى انوشروان انه
وضع الموايد للناس في يوم نوروز وجلس ودخل

وجوه مملكته الإيوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا بالشراب
وأحضرت الفواكه والمشموم في أواني الذهب
والفضة فلما رفعت آلة المجلس أخذ بعض من حضر
جاما من ذهب وزنه ألف مثقال وأخباه تحت ثيابه
وأنوشروان يراه ففقده الشرابي فقال بصوت عال
لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره
بالقصة فقال قد أخذه من لا يرده ورآه من لم ينم عليه
فلا تفتش أحدا فأخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ
منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة
فلما كان في مثل يوم جلوس الملك دخل ذلك الرجل
بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذاك

فقال

فقبل الأرض وقال نعم أصلحك الله حكي عن ابرهيم
ابن أدهم رضي الله عنه أنه خرج يوما إلى بعض البراري
فاستقبله جندي فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة
فضرب رأسه فأوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابرهيم
زاهد خراسان فجاء يعتذر إليه فقال إنك لما ضربتني
سألت الله لك الجنة فقال لم قال قد علمت أني أوجر
على ذلك فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير ونصيبك
مني الشر فانظر إلى هذه الأخلاق ما أحسنها وإلى
هذه الأفعال ما أزينها فنسأل الله أن يحسن أخلاقنا
وأن يبارك لنا في أرزاقنا إنه على ما يشاء قدير
وبالإجابة جدير وهو نعم المولى ونعم النصير

الباب السادس

في حلم الإمام ● عن ذوي الإجرام ●

ليعلم أن أحسن خصال الملوك وأجلها قدرا ● وأخلدها
على مر الأيام ذكرا ● وأعظمها في النفوس موقعا
وأعمها على الرعايا نفعا ● هي الحلم التي تعم سائر
الفضائل ● وتكمل سائر المحاسن ● وهي حلية الأنبياء
وزينة الأولياء والأصفياء ● وجمال العامة والرؤساء
وأن الحلم أشرف الأخلاق ● وأحقها بذوي الألباب
لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد ● وأحق الناس به
السلطان ● لأنه منصوب لإقامة أود الخلق وممارسة
أخلاقهم فإنهم إنما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم

وشرورهم

وشرورهم ● وتكدر نفوسهم ● وضيق أخلاقهم ●
فإن لم تسعه حلما يرد به بوادرهم وإلا وقع تحت عب ثقيل
وهذا أفضل الخطاب ● في هذا الباب قال الله تعالى
لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين وروي أنه صلى الله عليه
وسلم لما نزلت هذه الآية الشريفة قال عليه الصلاة والسلام
ما هذا يا جبريل ● قال إن الله يأمرك أن تصل من قطعك
وتعطي من حرمك ● وتعفو عمن ظلمك ● فهذا أمر
للنبي صلى الله عليه وسلم ● وفيه تأديب لأمته وندب
إلى التأسي بخلقه وشرعه وسيرته ● بأن يعفون عن من
ظلمهم ● ويصلون من قطعهم ● ويعطون من حرمهم ●

لا بالإعراض عن من جهل الحق الواجب ولا بالصفح عن
من كفر بالله تعالى وجهل وحدانيته وقال
سعيد بن أبي عروبة عن قتادة رضي الله عنه في معنى
هذه الآية الشريفة، هذه أخلاق أمر الله تعالى بها
نبيه ودله عليها لأنها أصول الفضائل وينبوع المناقب
وقد أخذ بعض الحكما هذا المعنى وسبكه في بيتين فيهما تجانس

فقال

خذ العفو وأمر بعرف كما ۞ أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لكل الأنام ۞ فمستحسن من ذوي الجاه لين

وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم

واستغفر

واستغفر لهم وشاورهم في الأمر. فهذه الآية
الشريفة فيها إشارتان إحداهما أن الفظاظة
تفرق الأصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم
وإنما الملك ملك بجلسائه وأصحابه وحشمه وأتباعه
فينبغي للملك رفضها والاحتراز من سوء مغبتها
وليكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين والإشارة الثانية وهي قوله تعالى
وشاورهم في الأمر فإن قيل كيف يشاورهم وهو
نبيهم وإمامهم وواجب عليهم مشاورته وأن لا يفصلوا
أمرا دونه فالجواب هذا أدب أدب الله تعالى
به نبيه عليه الصلاة والسلام وجعله مادة لسائر

الملوك والأمرا والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة
من حسن الأدب مع الجليس ومساهمته في الأمور وأن
نفوس الجلسا والنصحا تصلح عليه وتميل اليه وتخضع
عنوة بين يديه شرعه لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولأهل ملته من الملوك والأمرا والمستشير وإن كان
أفضل رأيا من المشير فإنه يزداد برأيه رأيا كما تزداد
النار بالسليط ضوا وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين
والثلاثة الآرا لا تكاد تنقطع ولا يمنعك أيها الملك
عزمك على إنفاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الإستشارة
ألا ترى أن ابرهيم عليه السلام أمر بذبح ولده عزمة

لامشورة

لا مشورة فيها فحمله حسن الأدب وعلمه بموقعه في
النفوس على الإستشارة فيه فقال يا بني إني أرى
في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من
أحسن ما يرسم في هذا المعنى ومن الناس من لا يقتدى
به في المشورة لوجود مانع يمنع من صحة الرأي وجودة
الذهن وحسن التأمل قالت الحكما لا تشاور
معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النسا
ولا صاحب حاجة يريد قضاها ولا خايفا ولا من
يرهقه أحد السبيلين وقالوا لا رأي لحاقن ولا
لحازق ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقيق عنده فالحاقن
هو من به أسطلاق البطن والحازق هو الذي ضغطه

الخف الضيق . والحاقب هو الذي في بطنه الغا

فقد علمت ايها الملك فضل المشاورة وما قيل فيها

ولو تتبعت ما قيل في محاسنها لطال الكلام وفيما

ذكرته لك كفاية ولنرجع الآن الى ما نحن بصدده

روي انه لما نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف

واعرض عن الجاهلين . قال النبي صلى الله عليه وسلم

يا رب كيف بالغضب فانزل الله عز وجل وإما ينزغنك

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم

وقد ارشدنا صلى الله عليه وسلم الى امور يستعان بها

على نفي الغضب مع الاستعاذة **فمن ذلك الوضوء**

خرج ابو داود رحمه الله في سننه من حديث

عطيه

عطية بن عروة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إن الغضب من الشيطان والشيطان

خلق من نار وإنما تطفى النار بالماء فاذا غضب احدكم

فليتوضأ **ومن ذلك الجلوس** إن كان قائما **والاضطجاع**

إن كان جالسا فقد خرج ابو داود ايضا رحمه الله

من حديث ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم وهو قائم

فليجلس . فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع **روي**

ان ابا ذر رضي الله عنه كان على حوض يسقي ابله

فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ابو ذر ثم

اضطجع فقيل له في ذلك فقال ان محمدا صلى الله عليه

وسلم قال إذا غضب الرجل فإن كان قائما فليجلس
وإلا فليضطجع . وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجلوس والاضطجاع لئلا تبدر من الإنسان
بادرة في حال قيامه أو جلوسه من بطش أو غيره والعياذ
بالله فيندم على ذلك والله أعلم ومنها ذكر الله
تعالى عند الغضب كان عكرمة رضي الله عنه يقول
في معنى قوله تعالى واذكر ربك إذا نسيت يعني إذا
غضبت فإن العبد إذا ذكر الله تعالى خاف فيزول
غضبه وفي التورية يا ابن آدم اذكرني حين تغضب
أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق قال الله تعالى
إن إبرهيم لحليم أواه منيب وقال تعالى فاصفح

الصفح الجميل قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
الصفح الجميل هو الرضا بلا عتاب وقيل الصفح
الجميل هو الرضا بلا توبيخ ولا حقد معه وفي الأمثال
القديمة كاد الحليم أن يكون نبيا ويروى
أن رجلا قال يا رسول الله علمني كلمات أعيش بهن
ولا تكثر علي فأنسى فقال له صلى الله عليه وسلم
لا تغضب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
وجبت محبة الله على من أغضب فحلم وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يغضب لله عند انتهاك حرمة ربه عز وجل
فحينئذ ينتصر لله ولم يغضب صلى الله عليه وسلم لنفسه
ولا اقتص من أحد لنفسه والأحاديث الصحاح الواردة

بذلك كثيرة وقال معوية أفضل ما أعطي
الرجل العقل والحلم فإذا ذكر ذكر وإذا أعطي
شكر وإذا ابتلي صبر وإذا غضب كظم وإذا
قدر عفي وإذا أسا استغفي وإذا وعد أنجز
وقال بعض الحكما من أطاع الواشي ضيع الصديق
ومن أطاع الغضب حرم السلامة ومن عصي الحق
عمره الذل وقال بعض الحكما كظم الغيظ حلم
والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وكان يقال
من لم يغضب فليس بحليم لأن الحلم إنما يعرف
عند الغضب وقال الشعبي رحمه الله الجاهل خصم
والحليم حاكم وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب

فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو
جبار وليعلم أن الله تعالي ما مدح من لم يغضب
وإنما مدح من كظم الغيظ فقال سبحانه وتعالي
وسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون
في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين فيا فوز من وفق لهذه الخصال
ليكون له هذا الثنا العظيم وليصير إلي هذا النعيم
المقيم وقال تعالي وإذا ما غضبوا هم يغفرون
يعني إذا غضبوا علي أحد يتجاوزون ويكظمون الغيظ
وأنشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله

صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه السلام عليه قوله

حيث قال

ولا خير في حلم إذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وكان أنوشروان ذا حلم وإناءة . وكان يقول

في خصلتان لولا أنهما ظاهرتان عند الرعية

لصقت بهما ذرعا . الحلم والإناءة حكي

أن جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه

الغضب فقال له إنك يا أمير المؤمنين إنما تغضب

لله تعالى فلا تغضب له بأكثر من غضبه لنفسه

قال جامعه غفر الله له يا أيها الملك نصرك الله تعالى

ووفقك

ووفقك وأرشدك إلى أعمال الخير أنك إنما تتصرف

في ملك الله تعالى بأمر الله . فلتعلم أن الله تعالى

قد حد حدودا . وشرع شرايع . وأقام فروضا

وسننا . ونهى عن حدود ورسوم . ثم قدر في كل

خصلة عند مخالفته عز وجل حدا محدودا . ونهى

أن يتجاوز ذلك الحد . فلا يقتل من استحق القطع . ولا

من استحق الحبس أو الحد أو الأدب . ولا يقطع من

استحق الأدب . ولا من استحق القتل . ولا يحبس غير

من استوجب الحبس . فإن الحدود عقوبة مقدرة لله

تعالى ولكل نوع منها حكم شرعي معروف

عند العلماء . والكلام عليه مبسوط في كتب الفقه

فإذا تجاوز الملك والعياذ بالله تعالى في إقامة الحدود
فوق ما حدّ الله تعالى فيها فقد شارك المجرم في الذنب
واستحق اسم الظالم قال الله تعالى ومن يتعدّ
حدود الله فأولئك هم الظالمون ۝ وتبين بذلك حينئذ أنه
إنما كانت عقوبته لهوى نفسه ۝ وتشفّي غيظه فهو
لم يغضب حينئذ لله تعالى وإنما غضب لنفسه أعاذنا
الله وإياه من ذلك ۝ وهدانا وإياه إلى أرشد المسالك
وكانت الخلفاء رضي الله عنهم يؤدبون الناس على
قدر منازلهم ۝ فمن عثر من ذوي المروآت أقيلت عثرته
ولم يقابل بشيء لقوله عليه الصلاة والسلام ۝
أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ۝ ومن سواهم كان يقابل

على قدر منزلته وهفوته فكان منهم من يقام قايما
في موضع يجلس فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته
ومنهم من يشق جيبه ۝ ومنهم من تنزع عمامته عن
رأسه ومنهم من يكلم بالكلام الذي فيه
بعض الغلظة حكي أن علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه سأل كبيرا من كبراء فارس عن أجود
ملوكهم عندهم فقال له أما إزدشير فله فضل
السبق عندهم غير أن أحمدهم سيرة أنوشروان ۝
قال فأي أخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم
والأناة فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
هما توأمان ينتجهما علو الهمة ۝ ونعمت الخصلة هذه

وقال محمود الوراق عفا الله عنه

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ۞ وإن عظمت منه
علي الجرايم ۞

فما الناس إلا واحد من ثلاثة ۞ شريف ومشروف
ومثلي مقاوم ۞

فأما الذي فوقي فأعرف فضله ۞ وأتبع فيه الحق
والحق لازم ۞

وأما الذي دوني فإن زل أو هفا ۞ تفضلت إن الحلم
بالفضل حاكم ۞

وأما الذي مثلي فإن قال صنت عن ۞ إجابته نفسي
وإن لام لايم ۞

وسيل

وسئل جعفر بن محمد رحمه الله عن حد الحلم فقال
كيف يعرف فضل شيء لم ير كماله في أحد وقال
الأحنف رحمه الله إياكم ورأي الأوغاد قالوا
وما الأوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو
عاراً وقال لقمن لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا
عند ثلاثة الحليم لا يعرف إلا عند الغضب
والشجاع لا يعرف إلا عند الحرب والأخ لا يعرف
إلا عند الحاجة إليه وقال بعض الحكماء
احذروا الغضب فربما استحق الغضبان بغضبه غضب الله
تعالى وقال أعرابي الغضب عدو العقل ولذلك
يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم وقال أعرابي

إذا جاء الغضب تسلط العطب وكان ابن عون رحمه الله
إذا غضب على أحد من أصحابه قال سبحان الله بارك الله
فيك وقال الأصمعي دفع إزدشير إلى رجل كان
يقوم على رأسه كتابا وقال له إذا رأيتني اشتد
غضبي فادفعه إليّ وكان فيه. اسكن فلست بإله
إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وتصير
عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة أول من سنها
ملك تبع. أمر أن يكتب في كتاب اسكن فلست بإله
وقال لصاحبه إذا رأيتني غضبت فأعرضه عليّ فكان
إذا غضب أعرضه عليه فإذا قرأه سكن غضبه
وكتب بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه إلى وزيره

وقال له إذا رأيتني غضبت فناولنيه. وفيه مكتوب
ما لك وللغضب إنما أنت بشر ارحم من في الأرض يرحمك
من في السماء. وكانت دولة الفرس قبل الإسلام.
أعظم دول الأرض. وأشدها بأسا. وأكثرها علوما
وحكما. ولم يكن في أكاسرها أجل وأحلم من
كسرى أنوشروان وصار يضرب بحلمه المثل
وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات وأما في الإسلام
فلم يخلق الله عز وجل أكثر حلما ولا عفوا ولا كرما ولا
صفحا ولا أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومحاسنه عليه الصلاة والسلام أكثر من أن تحصى.
وأوصافه الزكية الطاهرة الكريمة أجل من أن.

تستقصي وكيف لا يكون ذلك وقد تولى الله تعالى
تأديبه بنفسه وآتاه جوامع الكلم وجواهر الحكم
فالأنبياء والمرسلون من فضائله مقتبسون ومن
أخلاقه الشريفة ملتمسون ومستمدون قد كان
صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأكثرهم تواضعا
وكان أرحم الناس روي أنه عليه الصلاة والسلام
كان يصغي الإناء للهرة فما يرفعه حتى تروى وكان
يسمع بكاء الصغير مع أمه وهو في الصلاة فيخفف من صلاته
رحمة لها وإياه ولا يجزي السيئة بمثلها بل يعفو ويصفح
ويضاعف الحسنة ويجود ويسمح فلو جعل البحر مدادا
والشجر أقلاما لما انتهى وصف من قرن الله عز وجل اسمه

باسمه

باسمه وجعل نوره من نوره إجلالا وإعظاما
وأما دولة آل العباس وأولهم أبو العباس السفاح
فمن عهده وإلى يومنا هذا لم يسمع بأن فيهم أحلم
من المأمون رحمه الله بلغ من حلمه أنه كان يقول
لو علم الناس ما لي في لذة العفو ما تقربوا إلي إلا بالجرائم
فختم حلمه سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب
بحلمه المثل وبهذه الخصلة تهيأ ملكه وقهر
أخاه الأمين وأما دولة بني أمية وأولهم
معوية بن أبي سفين وآخرهم مروان الجعدي فلم يكن
فيهم أحلم من معاوية لا جرم دانت له الدنيا وملك
بهذه الخصلة رقاب العرب والعجم وصار حلمه

يضرب به المثل وتقتدي به الخلق ويتخلق به العقلا
حتى حكي عنه انه كان يقول لو كان بيني
وبين الناس خيط عنكبوت او شعرة ما انقطعت
اذا جذبوا ارسلت واذا ارسلوا جذبت قال جامعه
فاخلق بخصلة تعم منفعتها ويبقى على الدهر جمالها
وتخلد بهجتها وحسن مصادرها ومواردها ان تتخذها
الملوك شعارا ودثارا وانما قصدت الحلما من الملوك
خاصة لمناسبة وضع عقد هذا الباب والا فالحلما
من الرعية كثيرون كالاحنف بن قيس ونظرايه
فلا يحصون كثرة والقصد من هذا الكتاب الاختصار
فنسال الله الحليم الستار ان يدخلنا برحمته دار القرار

الباب

الباب السابع

في السخا والايثار واصطناع الاحرار

ليعلم ان هذه الخصلة جليل قدرها عظيم
موقعها شريف مصدرها وموردها وهي احدى
قواعد المملكة واساسها وتاجها وجمالها تعنا
لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة
وتسترق بها الاحرار وتستمال بها الاعدا
وتستكثر بها الاوليا ويحسن بها الثنا ويملك بها
القربا البعدا وتسود بها في غير عشايرهم الغربا
وهذه الخصلة بالعزايم الواجبات اشبه منها
بالجمال والمتممات وكم قد راينا من كافر بذلك

دينه والتزم دين الإسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا
يناله وكم قد سمعنا من مسلم ارتد في أرض الشرك
افتتانا بيسير من عرض الدنيا والخلق بخصلة يترك لها
الإنسان دينه الذي يبذل دونه نفسه أن تكون
جليلة القدر عظيمة الخطر والملك أحوج خلق
الله إليها لأنها توجب عطف القلوب عليه وصرف
الوجوه إليه ثم ليعلم أن الجود هو بذل المال
وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد ندب الله
تعالى إليه بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
قيل إن الجود والسخاء والإيثار بمعنى واحد
وقيل من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء

ومن

ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بما
عنده فهو صاحب إيثار وأصل السخاء هو السماحة
وقد يكون المعطي بخيلا إذا صعب عليه البذل
والممسك سخيا إذا كان لا يستصعب الإعطاء ومما
جاء في فضل السخاء قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر
وفاتح له كلما افتقر وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في جوده وكرمه كالبحر الزاخر قال
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسخى الناس وأجودهم ما سئل شيئا
قط فقال لا وأجود ما كان في شهر رمضان وكان

لا يبيت في بيته دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد
من يعطيه لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من هو
محتاج إليه وكان لا يدخر لنفسه شيئاً وروي عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال السخي قريب من الله
قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار
والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار ولجاهل سخي أقرب إلى الله من عابد بخيل
وقال النعمن بن المنذر يوماً لجلسائه من أفضل الناس
عيشاً وأنعمهم بالاً وأكرمهم طباعاً وأجلهم
في النفوس قدراً فسكت القوم فقام فتى من الحاضرين
فقال أبيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله

فقال

فقال صدقت وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها
الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام
وسخاؤها بما ملكت على الخاص والعام وجميع
خصال الخير من فروعه وروي أن أعرابياً قدم على
علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين
لي إليك حاجة والحيا يمنعني أن أذكرها قال
خطها في الأرض فخط في الأرض إني فقير فقال لغلامه
يا قنبر اكسه حلة فكساه حلة فأنشده

هذه الأبيات

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن السخا ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

إن نلت حسن ثنا نلت مكرمة ۞ لا تبغين بما قد نلته بدلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ۞ كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال علي رضي الله عنه زده مائة دينار فأعطاه

فلما ولى الأعرابي قال قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها

في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم فقال مه يا قنبر

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا

لمن أثنى عليكم وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه

وقال بعض السلف منع الجود سوء الظن بالمعبود

وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو

خير الرازقين وروي أن رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه

شيئا فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال له

ايت

ايت بحمال يحمله لك فجاء بحمال فأعطاه طيلسانه

وقال يكون كرا الحمال من قبلي وسأله معاوية

عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل

السؤال ۞ والرأفة بالسائل مع النوال وقال

بعض العرب لولده لا تزهدن في المعروف فإن الدهر

ذوا صروف ۞ وكم من راغب كان مرغوبا إليه

وكم من طالب كان مطلوبا ما لديه ۞ وكن يا بني

كما قال القائل ۞

وعد من الرحمن فضلا ونعمة ۞ عليك إذا ما جا للخير طالب

ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا ۞ فإنك لا تدري متى أنت راغب

وقال يحيى البرمكي رحمه الله ۞

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ۞ فليس ينقصها التبذير والسرف

فإن تولت فأحرى أن تجود بها ۞ فليس تبقى ويأتي شكرها خلف

وقال علي رضي الله عنه لا تستحي من إعطاء القليل

فالحرمان أقل منه ۞ وكتب كلثوم بن عمر إلى بعض الكرام رقعة

۞ يقول فيها ۞

إذا اتكرهت أن تعطي القليل ولم ۞ تقدر على سعة أن يظهر الجود

بث النوال ولا تمنعك قلته ۞ فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفردة نعله

وقال المهلب رحمه الله عجبت لمن يشتري المماليك

بماله ۞ لم لا يشتري الأحرار بفعاله نادرة قيل

أن رجلا دخل على علي بن سليمان الوزير يوما فقال له

سألتك بالله العظيم ۞ وبرسوله الكريم إلا أجرتني

من خصمي قال ومن خصمك حتى أجيرك منه قال الفقر

فأطرق الوزير ساعة ثم قال قد أمرت لك بمائة ألف

درهم فأخذها وانصرف ۞ فبينما هو في الطريق إذا أمر

الوزير برده إليه ۞ فلما رجع قال له من أنت قال رجل

ظلمه الفقر ۞ قال له سألتك بالله العظيم ۞ وبرسوله

الكريم متى أتاك خصمك معيبا أرسله إلينا متظلما

۞ وممن كان مشهورا بالجود ۞ ومؤثرا بالموجود ۞

عبد الله بن عباس رضي الله عنه حكي عنه أن رجلا

أتاه وهو بفناء داره فقام بين يديه فلم يعرفه فقال له

يا ابن عباس إني فقير وإن لي عندك يدا وقد احتجت إليها

فصعد النظر فيه فلم يعرفه ثم قال له ما يدلك
قال رأيتك يوما واقفا بزمزم وغلامك ينضح لك
من مائها والشمس قد ظهرت عليك فظللتك بطرف
كسائي حتى شربت فقال أجل إني لأذكر ذلك
ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة
آلاف درهم قال ادفعها إليه وما أراها تفي له بحقه

وحكي عنه أيضا ∴ رضي الله عنه

أنه قدم معوية فأهدى إليه معوية من هدايا
النيروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب
وفضة ووجهها إليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه
نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها فقال هل في نفسك

منها

منها شيء قال نعم والله إن في نفسي منها ما كان
في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك
عبد الله وقال خذها لك فقال جعلت فداك
أخاف أن يبلغ ذلك معوية فيجد علي في نفسه قال
فاختمها بخاتمك وادفعها للخازن فإذا كان وقت
خروجنا حملها إليك ليلا فقال الحاجب والله إن
هذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم وحكي
عنه أيضا رضي الله عنه أن رجلا جاء إليه فقال
يابن عم محمد إنه ولد لي في هذه الليلة مولود وإني
سميته باسمك تبركا بك وإن أمه ماتت فقال
بارك الله لك في الهبة وأجرك على المصيبة ثم إنه

دعا بوكيله فقال له انطلق الساعة واشتر
بالمولود جارية تحضنه وادفع إليه مايتي دينار لينفقها
عليه لتربيته. ثم قال للأنصاري عد إلينا بعد
أيام فإنك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة
فقال الأعرابي الأنصاري جعلت فداك لو سبقت
حاتما بيوم ما ذكرته العرب وحكي أن معوية
حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه صلاته فقيل له
لو وجهت إلى ابن عمك عبد الله بن عباس فإنه قدم بنحو
ألف ألف درهم فقال الحسين وأين تقع ألف ألف
درهم من عبد الله فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت
وأسخى من البحر إذا زخر. ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب

ذكر فيه ضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف. فلما
قرأ الكتاب انهملت عيناه وقال ويلك يا معوية
أصبحت لين المهاد. رفيع العماد. والحسين يشكوا
ضيق الحال. وكثرة العيال. ثم قال لوكيله
احمل إليه نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودابة
وأخبره أني شاطرته فإن قنع وإلا احمل إليه النصف
الآخر. فلما أتاه الرسول قال إنا لله ثقلت والله علي بن عمي
وما حسبت أنه يسمح لي بهذا كله رضوان الله عليهم
فانظر إلى هذه المناقب ما أحسنها وأعظمها
وإلى هذه الأخلاق ما أزينها وأكرمها ويروى
أن الليث بن سعد رضي الله عنه سألته امرأة شيئا يسيرا

من عسل فأمر لها بزق ملآن عسلا فقيل له في ذلك
فقال إنما سألت على قدر حاجتها ونحن أعطيناها
على قدر نعمتنا وحكي أن ابن عامر أراد أن يكتب
لرجل بخمسين ألفا فجرى القلم بخمسمائة ألف فراجعه
الخازن في ذلك فقال أنفذه الله لإنفاذه وإن خرج المال
أحسن من الاعتذار فاستسرفه الخازن فقال
إذا أراد الله بعبد خيرا حرف القلم يجري عن إرادة كاتبه
إلى إرادته وإنما أردت شيئا وأراد الجواد الكريم
أن يعطي عبده عشرة أضعافه وكانت إرادة الله تعالى
هي الغالبة وأمره هو النافذ فرحمه الله ما أحسن خلقه
وكان المأمون من السادة الكرام المشهورين بالكرم بين الأنام

حكي عن أبي العيناء رحمه الله أنه قال ضقت
إضاقة شديدة وكتمتها عن أصدقائي ودخلت يوما
على القاضي يحيى بن أكثم فقال إن أمير المؤمنين
المأمون جلس لينظر في المظالم وأنا ذاهب إليه فهل
لك في الحضور إلى مجلسه قلت نعم فذهبت معه فلما
دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء
بالألف والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة
فأنشدته هذه الأبيات
لقد رجوتك دون الناس كلهم ۝ وللرجاء حقوق كلها تجب
أن لا يكن لي أخلاق أعيش بها ۝ وفي العلا لك أخلاق هي السبب
فقال المأمون يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا

المسلمين

دون مالنا فقال فيه بقية من مال فقال ادفع له
منها مائتي ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر
فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى
عليه أبو العيناء حتى قرحت عيناه فدخل عليه بعض ولده
فقال له يا أبتاه بعد ذهاب العين ما الذي ينفع البكا

۞ فأنشأ يقول ۞

شيئان لو بكت الدما عليهما ۞ عيناي حتى يوذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما ۞ فقد الشباب وفرقة الأحباب

۞ وأما الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ۞

فهم حاتم بن عبد الله الطائي ۞ وهرم بن سنان ۞
وكعب بن أمامة الإيادي ۞ وضرب المثل بحاتم ۞ وكعب

وحاتم

وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه
بالماء ومات عطشا وله خبر مشهور وأما حاتم
فكان من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده
شعره ۞ ويصدق قوله فعله وكان حيث ما نزل
عرف منزله وكان مظفرا إذا قاتل غلب ۞ وإذا سئل
وهب ۞ وإذا سابق سبق ۞ وإذا أسر أطلق وكان
إذا أهل رجب الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية
نحر في كل يوم منه عشرا من الإبل وأطعم الناس
ولم يمنع من أحد شيئا سوى فرسه وسلاحه فإنه كان
لا يجود بهما ثم جاد بفرسه في سنة مجدبة وأخباره
كثيرة مشهورة ۞ ومن شعره ۞

أماري إن المال غاد ورائح ۞ ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وقد علم الأقوام لو أن حاتما ۞ أراد ثراء المال كان له وفر

وحكي أن قوما أغاروا على طي فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في عشيرته ولقي القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك فرمى به إليه فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ولكن ما جواب من يقول هب لي والحكايات في ذكر الأجواد والكرما والأسخيا وأهل المعروف وما كانوا عليه من السخا والكرم هي أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها

فليعمل

فليعمل العاملون فإن فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فإنا لم نجد شيئا يبقى على الدهر إلا الذكر حسنا كان أو قبيحا

وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثا ۞ جميل الذكر فالدنيا حديث

فيا أيها الملك انتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الأمر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك في الغنيمة كما ادخروا واعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر لنفسك أي الثلاث شئت والسلام

فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يجمعنا على ديننا بدنيانا

وعلى آخرتنا بالتقوى إنه قريب مجيب سميع الدعا

الباب الثامن

في بيوت الأموال وشروط العمال

ليعلم أن المال قوة السلطان وزينة الإنسان وأنه أقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الأرض ومن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من سرف وأن لا يأخذ الملك من الرعية إلا ما فضل عن معاشها ومصالحها فينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليه نفعها فإذا اجتهد ولي الأمر أيده الله تعالى به الذين في إصلاح دين رعيته ودنياهم بحسب استطاعته كان أفضل أهل زمانه ومن أفضل

اهل

أهل الجهاد في سبيل الله وثبت ملكه وطالت مدته واستقامت رعيته وحفظ في نفسه وأهله وولده بعد موته فمن ولي ولاية وقصد بها طاعة الله وإقامة ما يمكنه إقامته من دين الله ومصالح المسلمين لم يؤاخذه الله عز وجل فيما يعجز عنه ولم تصل قدرته إلى دفعه فينبغي للملك أن يكون يقظا بصيرا بأمور الرعية متفقدا للأحكام الشرعية يحاسب نفسه كل وقت على ما وقع من هفواته ويستغفر الله تعالى ويتوب إليه من كل ذنب ويتفكر في حاله وما يصير إليه الخير أم الشر ويتدبر قوله صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وأن يسير في أموال بيت المال

أحسن سيرة. فإذا رأيت ملكاً تقاعد عن هذه الأمور
وولاها ظهره وأخذ يظلم الناس ويأخذ أموالهم بغير
حق ثم سلبه الله نعمته فجاء يعتب الزمان ويشكو الدهر
أفليس هو الجاني على نفسه. حكي أن الملك المظفر
سيف الدين قطز تغمده الله برحمته طلب شيخ الإسلام
سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بحضرة الملك
الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وغيرهما من الأمراء
وحادثه في الخروج إلى لقاء العدو من التتار لما دهموا البلاد
ووصلوا إلى عين جالوت فقال له الشيخ اخرج وأنا أضمن لك
على الله النصر فقال إن المال في الخزانة قليل وأريد أن
أقترض من التجار فقال له الشيخ إذا أحضرت أنت وجميع

العسكر

العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائكم من الحلي
والزراكش المحرمة على ذكور هذه الأمة وسبكت ذلك
وضربته على السكة ونفقته في الجيش وقصر عن القيام
بكلفتهم أنا أسأل الله تعالى لكم في إظهار كنز من الأرض
يكفيكم ويفضل عنكم. وأما أنكم تأخذون أموال
الناس والرعايا بغير حق وتجهزون بذلك إلى لقاء العدو
وعليكم هذه الملابس المحرمات وتطلبون من الله النصر
فهذا لا سبيل إليه. فوافقوه وأخرجوا ما عندهم
من الحلي والزركش والسروج المذهبة وسبك السلطان
جميع ذلك كما أمر الشيخ وضرب السلطان ذلك سكة
وفرقه في العسكر فكفاهم وخرجوا وانتصروا بمعونة الله

فينبغي للملك أن يتيقظ لسماع هذه الحكاية العظيمة
وليتأمل ما بذله الشيخ رحمه الله للملك من النصيحة فيما
يما أمر الله تعالى ورسوله به كل ذلك خوفا على الملك
من وقوعه فيما يوجب تغير القلوب بالدعاء عليه وما
ينشأ عن ذلك من عدم النصر على العدو في الدنيا وكثرة
الحساب عليه وشدة العقاب له في الآخرة ، ولينظر
كيف قبل الملك رحمه الله من الشيخ رحمه الله ما بذله
من النصح له في دين الله تعالى وكيف حصل ما وعد به
الشيخ من النصر وكيف استراح الملك بفعله لذلك
من تغير القلوب عليه وكثرة الحساب وشدة العقاب
كل ذلك بتوفيق الله تعالى له وإخلاص النية في قبول

النصيحة

سلطاننا

النصيحة ، وفق الله تعالى لما يرضيه ، وألهمه حسن
العمل والإخلاص فيه ، وهذا أفضل الخطاب ، في هذا
الباب **الكلام على أموال بيت المال وبيان مصارفها**
ليعلم أن بيوت الأموال متنوعة إلى أربعة أنواع ،
وإنما وجب أن تكون أربعة لأن لكل بيت منها مال
يوضع فيه وقد قدر الشارع صلى الله عليه وسلم المصارف
فيه وجعل لكل مال من هذه الأموال أقواما مستحقين
له ، وها أنا أتلو عليك أيها الملك أحكام هذه الأموال
متحصلا ومصرفا مما نقلته ملخصا من كلام علماء السادة
الحنفية رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة ،
أما البيت الأول فتوضع فيه الأموال المتحصلة ،

من الزكوات والعشور، ويصرف ذلك إلى مصارف
الزكاة المذكورة في كتاب الله تعالى بقوله تعالى
إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها
والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم **وأما
البيت الثاني** فتوضع فيه الأموال المتحصلة من
خمس الغنائم والمعادن والركاز، ويصرف ذلك
إلى خمسة أصناف وهي مذكورة أيضا في كتاب الله تعالى
بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل الآية، والكلام على معرفة كل من هذه الأصناف

المذكورة

المذكورة مبسوط في كتب الفقه فليتأمل إن شاء الله تعالى
وأما البيت الثالث فتوضع فيه الأموال
المتحصلة من الخراج، والجزية، وما أخذ من المستأمنين
من أهل دار الحرب ومن تجار أهل الذمة، ويصرف ذلك
إلى عمارة الأربطة، وسد الثغور، وبنيان المساجد
والقناطر، والجسور، وكفاية القضاة، والعمال
والعلماء، والمفتيين، والمعلمين، والمتعلمين، والأئمة
والمؤذنين، وحفاظ القرآن، والولاة، وجند الإسلام
المقاتلة، وذراريهم، وإلى رصد الطريق في دار الإسلام
عن اللصوص وقطاع الطريق حتى يؤمن السبيل ويؤمن
على الأموال والنفوس، فحاصله أن هذا النوع من

المال يصرف إلي عمارة الدين وصلاح دار الإسلام
والمسلمين ويبدأ الإمام بالأهم فالأهم من هذه
المصارف واما البيت الرابع فتوضع فيه الأموال
المتحصلة من تركة الميت الذي لا وارث له والمال
الذي ليس له مالك معلوم كالمغصوب والودايع
التي تتعذر معرفة أصحابها وما يجمع من اللقطات
والضالات ويصرف ذلك إلي نفقة المرضي والزمني
إذا كانوا فقراء وإلي أكفان الموتي الذين لا مال لهم
وإلي نفقة اللقيط وعقل جنايته وإلي نفقة من هو عاجز
عن الكسب وليس له من يقضي عليه بنفقته وما أشبه ذلك
فهذه جملة أموال بيت المال علي اختلاف أنواعها

وبيان

وبيان مصارفها فالواجب علي الأئمة والسلاطين
إيصال الحقوق إلي أربابها ولا يحبسونها عنهم علي ما يرون
من تفضيل وتسوية ولا يحل لهم من هذه الأموال إلا
مقدار ما يكفيهم ويكفي عايلتهم وأعوانهم من غير
إسراف وما فضل بعد ذلك يجب عليهم إيصاله إلي
أربابه وصرفه إليهم بقدر حقوقهم وكفايتهم ولا يحبسونه
ولا يجعلونه كنوزا فإن فضل من المال شي بعد إيصال
الحقوق إلي أربابها قسموه بين المسلمين فإن قصر الأئمة
والسلاطين في ذلك فوباله عليهم واستحقوا اسم الظالم
فقد قال السيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه
والخزاين مملوة بزيد به من يشتري مني سيفي هذا ولو

وجدت رداً أستتر به ما بحثه ومثل هذا كثير عن الخلفاء

الراشدين • والأئمة المهديين • من السير الصالحة التي

مليت منها الدواوين • ولسنا نطالب أهل زماننا

بسيرة أولئك الماضين • فإنهم لا يصلون إلى هذا المقام

ولكنا نذكرهم بذلك لعلهم يرجعون • أو يقصرون

ويعتبرون • فلا بد في الذكرى من نفع إن شاء الله تعالى •

فصل في شروط العمال

ينبغي للملك أن لا يولي على كل عمل من أعمال المسلمين إلا أصلح من يجده

لذلك العمل مما فيه صلاح المسلمين ونفع لهم لقوله

صلى الله عليه وسلم من ولي من أمور المسلمين شيئاً فولى

رجلاً وهو يجد أصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله

فينبغي

فينبغي للملك أن يبحث عن المستحقين للولايات

من نوابه في سائر الأمصار التي في عمله • من القضاة

والأمراء • والأجناد • ومقدمي العساكر • والوزراء •

والكتاب • والشادين • والعمال على الخراج • والولاة

والمحتسبة • والكشاف • ومشايخ العربان • ونواب

الممالك • وأمراء الحاج • وحراس الحصون • والبوابين •

وغيرهم • وأن يشترط على كل من ولي شيئاً من

أعمال المسلمين من هؤلاء وغيرهم أن يستعمل فيما تحت

يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه • فتولية الأتقياء

الأبرار • خير للأمة من تولية الظلمة والفجار • وأسلم

في الآخرة من عذاب النار وينبغي للملك

أن لا يتقدم في الولاية لهذه الأمور من سبق منه طلب
لها بل ينبغي أن يكون سؤاله للولاية وسبقه لطلبها
سببا لمنعه وحرمانه منها • فقد ثبت في الصحيح
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم دخلوا عليه
وسألوه الولاية إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه • فإذا اجتهد
الملك في تولية المناصب لمستحقها فقد أدى الأمانة •
وقام بالواجب وصار من أئمة العدل إن شاء الله تعالى
ويتعين على السلطان وعلى غيره من ولاة الأمور •
أن لا يستعين بأحد من اليهود والنصارى في شيء •
من أعمال المسلمين مطلقا ولو في صرف المال وجبايته
لما في ذلك من المفاسد والدسايس الكثيرة التي تخفى

اكثرها

أكثرها على كثير من العقلاء لأنهم أعداؤنا
على الحقيقة • ولو وجدوا فرصة وقدرة على إزهاق
أنفسنا وأخذ أموالنا لما تخلفوا عنها كما أخبر الله
عنهم بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت
البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا
لكم الآيات إن كنتم تعقلون • وكفى بهذه الآية
واعظا لما ذكرته • والمراد بالبطانة من يطلع على
حال المسلمين كالاطلاع على مقدار خزائنهم من المال
وأعداد جيشهم من الرجال • فلا يقصرون بل يجتهدون
في إيصال الأذى والضرر إليهم • قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى خونة لا أعان الله
من ألبسهم ثوب عز **ولما** خرج النبي صلى الله عليه
وسلم إلى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة
فقال أريد أن أتبعك وأصيب معك فقال تؤمن بالله ورسوله
قال لا قال ارجع فلن أستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة
ففرح به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له قوة
وجلد على القتال قال جئتك لأتبعك وأصيب معك
قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن أستعين
بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك فقال
تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا أصل عظيم
في أن لا يستعان بكافر هذا وهو قد خرج ليقاتل

بين

بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف
الاستعمال لهم على رقاب المسلمين **ولما** فتحت الصحابة
رضي الله عنهم مصر أرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص
رضي الله عنهما يأمره بأمور **منها** أن لا يستعمل كافرا
في عمل من أعمال المسلمين فأجابه بأن المسلمين إلى الآن
لم يعرفوا حقيقة البلاد ولم يطلعوا على مقادير خراجها
وقد اجتهدت في نصراني عارف بالبلاد منسوب إلى
أمانة إلى حين معرفتنا بذلك فغضب عمر رضي الله عنه
وقال كيف نستأمنهم وقد خونهم الله وكيف
نعزهم وقد أذلهم الله وكيف نقربهم وقد أبعدهم
الله ثم تلا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة

من دونكم الآية **ولما** قدم عليه أبو موسى الأشعري
رضي الله عنه من البصرة وكان بالمسجد استأذن لكاتبه
وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه
وليت ذميا على المسلمين أما سمعت قول الله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم
هلا اتخذت حنيفا مسلما فقال يا أمير المؤمنين لي كتابته
وله دينه فقال والله لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا
أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أبعدهم الله
وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامله
محمد بن المنتشر أما بعد فإنه بلغني أن في عملك رجلا

يقال

يقال له حسان على غير دين الإسلام والله تعالى يقول
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين فإذا أتاك كتابي هذا
فادع حسان إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا ونحن منه
وإن أبى فلا تستعن به ولا بأحد من غير دين الإسلام
على شيء من أعمال المسلمين فقرأ عليه الكتاب فأسلم
وكتب أيضا إلى سائر عماله أن لا تولوا على أعمالنا
إلا أهل القرآن فكتبوا إليه إنا وجدنا فيهم خيانة
فكتب إليهم إن لم يكن في أهل القرآن خير فكيف
يكون في غيرهم خيرا ولاسيما أهل الشرك **أقول**

والعجب أنه لا يعرف في إقليم من الأقاليم من المشرق إلى المغرب
توليتهم أمور المسلمين إلا في إقليم مصر خاصة فيا لله العجب
ما بال هذا الإقليم من دون ساير أقاليم المسلمين هذا
مع أنه أعظم أقاليم الإسلام وأوسعها عالما وأكثرها علما
وفي استعمال الكفار على المسلمين من المفاسد العظيمة
والأمور القبيحة والأحوال الشنيعة ما لا يرضاه الحق
لعدوه خصوصا أن ترضاه المسلمون لأمة محمد صلى الله عليه
وسلم وروي أن أمير المؤمنين المتوكل تغمده الله برحمته
أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وخالف بين زيهم
وزي المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لأنهم
أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد أهل الباطل

والأهواء فأحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر
بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا أقول
وقد ألهم الله سبحانه وتعالى هذه القربة للملك الظاهر
خشقدم سقى الله عهده فأمر بإزالة هذه المفسدة
العظيمة ومنع من استعمال أهل الذمة في شيء من أعمال
المسلمين وأسلم بسبب ذلك منهم طايفة كبيرة
فينبغي للملك أن يستن بسنة الخلفاء الراشدين
والملوك العادلين المتبعين لكتاب الله وسنة سيد
المرسلين وأن يأمر أهل دولته أن لا يستعملوا أحدا
من اليهود والنصارى في شيء من أعمال المسلمين وينبغي
أيضا له سدد الله ملكه أن يجري عليهم أحكام الإسلام

مما أمر الله تعالى ورسوله به من اظهار الذل والصغار
عليهم وأن يواخذهم بتمييزهم في زيهم وملابسهم
ومراكبهم عن المسلمين فإنهم قد تناهوا في زمننا هذا
في تكبير العمايم وتحسين الملابس الفاخرة وإظهار التكبر
بحيث أن المسلم يكون مع أحدهم كالغلام مع أستاذه
المسلم ولعمري هذا أكله وهن في دين الاسلام كيف
وقد قال الله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا
بغضب من الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبدؤهم
بالسلام والجؤهم إلى أضيق الطرق فاذا لم يتميزوا فيما
ذكرناه عن المسلمين ربما عظمنا الكافر ووليناه
وبدأناه بالسلام وقد وقع لي ذلك في الحمامات غير مرة

لعدم

لعدم العلم بمعرفة حالهم بعدم التمييز وحدثني
أيضا جماعة من المسلمين أنهم وقع لهم مثل ذلك
فينبغي أن يؤخذ كل منهم بأن يجعل في وسطه
كستيجا وهو خيط من شعر أو صوف ويجب أن يكون
غليظا ليظهر للرائي وأن لا يلبسوا العمايم ويلبسوا
قميصا خشنا وأن لا يلبسوا القلانس الطوال المضربة
ولا الطيالسة ولا الأردية ولا يركبوا الخيل ولا يركبوا
البغال ولا الحمير إلا لضرورة فإن دعت يركبون منها
ما كان خسيسا وينزلون في مجامع المسلمين ويركبون
بسروج كهيئة الأكف ولا يحملون السلاح لأنهم
أعدا المسلمين ويمنعون من لباس يختص به أهل العلم

والشرف والدين **وتجب** أن تتميز نساؤهم من نساء
المسلمين حال المشي في الطرق وفي الحمامات • فيجعل
في أعناقهن طوق من حديد ويخالف إزارهن إزار المسلمات
ويكون على دورهم علامات تتميز بها عن دور المسلمين
لئلا يقف عليهم السائل فيدعو لهم بالمغفرة **وقال**
أصحاب الشافعي رضي الله عنهم ويلزمهم أن يتميزوا عن
المسلمين في اللباس • وأن يلبسوا قلانس يميزوها عن قلانس
المسلمين بالحمرة • ويشدون الزنانير في أوساطهم •
ويكون في رقابهم خواتم من رصاص أو نحاس أو جرس
يدخلون به الحمام • وليس لهم أن يلبسوا العمائم • ولا
الطيلسانات • وأما المرأة • فإنها تشد الزنار •

تحت

تحت الإزار • وقيل فوق الإزار • وهو الأولى • ويكون
في عنقها خاتم تدخل به الحمام • ويكون أحد خفيها
أسود والآخر أبيض • ولا يركبون الخيل • ولا يركبون
البغال والحمير إلا بالأكف عرضا • ولا يركبون السروج
ولا يتصدرون في المجالس • ولا يبدؤون بالسلام • ويلجؤون
إلى أضيق الطريق • ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين
في البناء ويجوز المساواة • وقيل لا يجوز • وإن تملكوا دارا
عالية أقروا عليها • ويمنعون من إظهار المنكر والخمر •
والخنزير • والناقوس • والجهر بالتورية والإنجيل •
ولهم أحكام أخر غير هذه يطول ذكرها والكلام
عليها مبسوط في كتب الفقه **فالحاصل** أنه يجب

تمييزهم بما يشعر بذلهم وقهرهم وصغارهم بما يتعارفه
أهل كل بلدة وزمان ففي ذلك إعزاز دين الله وإعلاء
كلمة الله • فنسأل الله تعالى أن يلهم مولانا السلطان •
لإقامة هذه القربة • وأن تزول على يده الغمة • وأن
يديم أيامه الزاهرة • وأن يجمع له بين خيري الدنيا والآخرة

الباب التاسع

في تحذير السلطان • من الظلم والطغيان

قال الله سبحانه وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون وقال تعالى ومن لم يحكم
بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال تعالى
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ؁

فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله وعند رسوله
كملت فيه هذه الأوصاف الثلاثة • الكفر والظلم
والفسوق وقال تعالى ألا لعنة الله على الظالمين ؁
وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون •
وهذه الآية الشريفة فيها تعزية للمظلوم ووعيد للظالم •
وقال تعالى إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم
سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي •
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقال تعالى
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال تعالى
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم • ولهم اللعنة ولهم
سوء الدار وقال إنما السبيل على الذين يظلمون الناس

ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم
وقال تعالى إنه لا يحب الظالمين وقال تعالى
ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل اشتد غضبي
على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري وروي أبو موسى
الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه
أليم شديد وقال كعب الأحبار لأبي هريرة
رضي الله عنهما مكتوب في التورية من يظلم يخرب بيته
فقال أبو هريرة رضي الله عنه وذلك في كتاب الله

فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشي مع ظالم يعينه وهو يعلم أنه
ظالم خرج من الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم
من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه
الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيئا يسيرا
قال ولو كان قضيبا من اراك وعن حذيفة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله إلى
يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا
يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم
مظلمة فإني ألعنه ما دام قائما يصلي بين يدي حتى يرد
تلك الظلامة إلى أهلها فإذا ردها كنت سمعه الذي

يسمع به وبصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي
وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين في الجنة وعن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إياك ودعوة
المظلوم فإنما يسأل الله حقه وعنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال ما من عبد ظلم فشخص ببصره إلى السماء إلا
قال الله عز وجل لبيك عبدي حقا لأنصرنك ولو بعد حين
وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة
نادى مناد من قبل الله عز وجل أين الظلمة وأعوان الظلمة
وأشباه الظلمة حتى من برا لهم قلما ولاق لهم دواة

فيجمعون

فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في جهنم
وقال أبو أمامة رضي الله عنه يجيء الظالم يوم القيامة
حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه بما
ظلمه به فما يبرح المظلوم بالظالم حتى ينزع ما بيده من
الحسنات فإن لم يجد له حسنات حمل عليه من سيئاته
مثل ما ظلمه حتى يلج الدرك الأسفل من النار وروى مسلم
رضي الله عنه أن هشام بن حكيم مر بالشام على أناس يعذبون
وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت قال
ما هذا فقيل هؤلاء يعذبون في الخراج فقال أما إني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز
وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وروي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم
صلى الله عليه وسلم من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة
تلعنه وإن كان لأخيه من أبيه وأمه وقال مجاهد
يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون حتى تبدو العظام
فيقال لهم هل يؤذيكم هذا فيقولون إي والله فيقال
هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين وقال بعض الحكماء
اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة
الله عليك لا يعجبك رحب الذراعين بسفك الدماء
فإن له قاتلا لا يموت روي أن بعض الملوك رقم على بساطه

هذه الأبيات

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ۞ فالظلم مصدره يفضي إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ۞ يدعو عليك وعين الله لم تنم
وقال بعض الحكماء العدل رحمة والظلم ظلمة
والعدل يجر إليك الحوائج وبالظلم تهجم عليك الجوائح
وقال بعض الحكماء من طال عدوانه زال سلطانه
قال مالك بن دينار رحمة الله عليه قرأت في بعض الكتب
يا معشر الظلماء لا تجالسوا أهل الذكر فإنهم إذا ذكروني
ذكرتهم برحمتي وإذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي
وحكي أن رجلا نادى سليمن بن عبد الملك
وهو على المنبر يا سليمن يا سليمن اذكر يوم الأذان
فنزل سليمن عن المنبر ودعا بالرجل قال له ما يوم الأذان
قال فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين

قال فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا
أخذها وكيلك فكتب إلى وكيله ادفع إليه أرضه
وأرضي معه حكي أن كسرى أنوشروان الملك
كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق في العلوم
فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان
عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما حملك على ضربي
يوم كذا وكذا ظلما قال له لما رأيتك ترغب
في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك
طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه ۞
وقال محمد بن سويد وزير المأمون رحمة الله عليه
فلا تأمنن الدهر حرا ظلمته ۞ فما ليل حر إن ظلمت بنائم

۞ وما أحسن ما قال الآخر ۞
أتهزأ بالدعاء وتزدريه ۞ وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن ۞ لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي ۞ ويرسلها إذا نفذ القضاء
وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل
والناس نيام ووجد تحت فراش يحيى البرمكي رقعة مكتوب فيها
۞ هذه الأبيات ۞
وحق الله إن الظلم لؤم ۞ وإن الظلم مرتعه وخيم
إلى ديان يوم الدين نمضي ۞ وعند الله تجتمع الخصوم
ومما نقل في الآثار الإسرائيلية في زمن موسى عليه السلام

أن رجلا صيادا من ضعفاء بني إسرائيل كان ذا عيال
وكان صيادا يصطاد السمك ويبيعه وينفق ثمنه على
عياله فخرج يوما للصيد على عادته فوقع في شبكته سمكة
كبيرة ففرح بها ثم ذهب بها ليبيعها فلقيه بعض الظلمة
فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع الظالم خشبة كانت
معه وضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة
منه غصبا بلا ثمن فدعى عليه الصياد وقال إلهي
خلقتني ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه
عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة ثم أن ذلك
الظالم الغاصب انطلق بالسمكة إلى منزله وأمر زوجته
بأن تشويها فلما شوتها ووضعت بين يديه مد يده ليأكل

منها

منها ففتحت السمكة فاها ونكزت إصبعه نكزة
طارت منها قراره وقام ولم يأكل منها شيئا من شدة
الألم وجاء إلى الطبيب يشكو إليه ألم يده وما حل به
فلما رأى الطبيب يده قال له دواؤها أن تقطع
الإصبع لئلا يسري الألم إلى بقية الكف فقطع إصبعه
فانتقل الوجع إلى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت
فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد إلى
المعصم لئلا يسري إلى الساعد فما زال هكذا كلما انقطع
عضو انتقل الألم إلى الذي يليه فخرج هائما على وجهه
مستغيثا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة
فقصدها فأخذه النوم عنها فنام فرأى في منامه قائلا

يقول له يا مسكين إلى كم تقطع أغصاني امض إلى خصمك
الذي ظلمته وارضه فانتبه من النوم وفكر في أمره
فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة
وسأل عنه وأتى إليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه
وطلب منه الإقالة مما جناه ودفع إليه شيئا من ماله
وتاب من فعله فرضي عنه فسكن في الحال ألمه وبات
تلك الليلة فرد الله عليه يده كما كانت ونزل الوحي على
موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لولا أن ذلك
الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت حياته
ونقل بعض المؤرخين عن أحمد بن طولون رحمه الله أنه
رؤي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال

أنما

إنما البلاء على من ظلم من لا ناصر له إلا الله تعالى وما على
رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطلب الإنصاف
وقال معوية إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على
الانتقام وإن أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه
وقال بعض العلماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم
لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به
فأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك بالله تعالى
وأما الظلم الذي لا يتركه الله فمظالم العباد بعضهم
بعضا وأما الظلم الذي لا يعبأ الله به فظلم العبد نفسه
فيما بينه وبين ربه عز وجل فيتعين على كل عاقل
كف يده عن الظلم وأن يسلك سنن العدل ويعامل الخلق

بالإحسان ويراقب الله تعالى في السر والإعلان ويعلم
أن الله تعالى يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على
ظلمه والله سبحانه وتعالى هو الموفق لكل خير بمنه

الباب العاشر

في المواعظ الحسنة والوصايا المستحسنة

قال الله سبحانه وتعالى ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال تعالى
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وقال تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر والآيات بمعنى ذلك كثيرة وثبت

في صحيح مسلم رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع
فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان
وليعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط
وصفات قال سليمن الخواص رحمة الله عليه
من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه
علانية فقد شانه وعن عبد العزيز بن أبي دواد رحمه الله
قال كان الرجل إذا رأى من أخيه شيئا أمره في ستر
ونهاه في ستر فيؤجر في نهيه ويؤجر في ستره وعن عمر
رضي الله عنه أنه قال إذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوموه

وسدّدوه وادعوا الله أن يرجع به إلي التوبة فيتوب عليه
ولا تكونوا أعوانا للشيطان علي أخيكم وقال
محمد بن تمام رحمة الله عليه الموعظة جند من جنود الله
ومثلها مثل الطين تضرب به علي الحايط فإن استمسك
نفع وإن وقع أثّر وقيل من كان له من نفسه واعظ
كان له من الله حافظ وقال أبو نواس رحمه الله
لن ترجع الأنفس عن غيّها ما لم يكن منها لها واعظ
وليعلم أن عقول الملوك وإن كانت كبارا فإنها
مستغرقة في كثرة الأشغال والنظر في الأحوال
فتستدعي من الموعظة ما يتولج علي تلك الأفكار
لتنتفع بذلك عنها تلك الأستار ويصقل ذلك الصدا

والران الواردين علي القلوب والأذهان وتنجلي
عين البصيرة بتوفيق الكريم المنان قال الله تعالى
كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون أي غطاها
وغشيها فلا تقبل خيرا ولا تنصح لموعظة وجاء في التفسير
إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء ثم إذا
أذنب نكتت نكتة سوداء حتي يسودّ القلب وقال
حذيفة رضي الله عنه القلب كالكف فإذا أذنب العبد
انقبض وقبض إصبعا ثم إذا أذنب انقبض وقبض إصبعا
ثم كذلك في الثالث والرابع حتي ينقبض الكف كله
ثم يطبع الله كله عليه فذلك هو الران وقيل
إذا أذنب العبد صار في قلبه كوخز الإبرة ثم كلما أذنب

صار فيه كوخز الإبرة وهكذا حتى يعود كالمنخل فإذا
أراد الله بعبده خيرا قيض له من يذكره بأحوال الدنيا
وتقلبها بأهلها وبما هو صائر إليه من الموت وسرعة
إعجاله والقبر وضيق مجاله والملك وصعوبة سؤاله
والميزان وتقويم اعتداله والخصم وقوة جداله والحاكم
وهيبة جلاله والحشر وذكر أهواله والكتاب
أيعطاه بيمينه أو شماله والمنادي هل يناديه إلى النعيم
وظلاله أو إلى الجحيم ونكاله فإذا ألقى سمعه إلى ما
يتلى عليه من هذه المواعظ وكان ممن سبقت له السعادة
تذكر خوف ربه وتاب إليه من ذنوبه وأخذ في تحسين
أحواله ومراقبة مولاه في أقواله وأفعاله ويكون قبوله

لهذه المواعظ وأمثالها سببا لهدايته وزوال الغشا
عن بصيرته وجلاء الصدا والران عن قلبه فحينئذ ينتفع
بما يوعظ به قال الأصمعي رحمة الله عليه لما زخرف
الرشيد مجالسه تأنق فيها وزوقها وصنع فيها طعاما كثيرا
أرسل إلى أبي العتاهية وقال له صف لنا ما نحن فيه
من نعيم هذه الدنيا وبهجتها فقال

عش ما بدا لك آمنا   في ظل شاهقة القصور
يسعى إليك بما اشتهيت   لدى الرواح وفي البكور
وإذا النفوس تقعقعت   في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا   ما كنت إلا في غرور

فبكى هارون بكاء شديدا فقال الفضل بن يحيى

بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال هرون
دعه فإنه رآنا في ضلالة وعمي فكره أن يزيدنا عمى ۞
وقال سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمة الله عليه
دخلت على الأفضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر
فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام
ردا جميلا وأكرم إكراما جزيلا وأمرني بالدخول
إلى مجلسه وأذن لي بالجلوس فلما جلست قلت أيها الملك
إن الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك
منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك
في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك
فلا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك وإن الله تعالى

قد ألزم الورى طاعتك فلا يكن أحد أطوع لله منك
وليس الشكر باللسان وإنما هو بالفعال والإحسان
قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم
أن هذا الذي أصبحت فيه إنما صار إليك بموت من كان
قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك فاتق الله
فيما خولك في هذه الأمة فإن الله تعالى سائلك عن الفتيل
والنقير والقطمير قال الله تعالى فوربك لنسألنهم
أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وإن كان
مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم
أيها الملك أن الله قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمن
ابن داود عليهما السلام فسخر له الإنس والجن والشياطين

والوحش والطير والبهايم وسخر الريح تجري بأمره رخاً

حيث أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع فقال عز وجل

له هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب فوالله ما عدها

نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها

بل خاف أن يكون ذلك استدراجاً من الله تعالى ومكراً به

فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر

فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث

الملهوف أعانك الله على فعل المعروف وجعلك كهف

الملهوف وأماناً للخايف ثم أتممت المجلس بأن قلت

قد طفت البلاد شرقاً وغرباً فما اخترت مملكة وارتحت إليها

ولذت لي الإقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدت

والناس

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان

وقال الرشيد لمنصور بن عمار عظني وأوجز فقال

يا أمير المؤمنين هل أحد أحب إليك من نفسك قال لا

قال إن رأيت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل ولما

لقي ميمون بن مهران الحسن البصري رضي الله عنه قال له

قد كنت أحب أن ألقاك فعظني فقرأ الحسن رضي الله عنه

أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام

يا أبا سعيد لقد وعظتنا أحسن موعظة حكي

أن سليمن بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز حين أعجبه

ما صار إليه من الخلافة كيف ترى ما نحن فيه من النعيم

فقال عمر يا أمير المؤمنين هذا سرور لولا أنه غرور
ونعيم لولا أنه عديم ومُلك لولا أنه هُلك وفرح
لو لم يعقبه ترح ولذات لو لم تقترن بآفات وكرامة
لو صحبتها سلامة فبكى سليمن حتى اخضلت لحيته

فينبغي للملك أن يعلم أن الدنيا دول سريعة الزوال
قريبة الترحال ذو انقلاب بأهلها ومع ذلك فليغتنم
فرصة فعل الخير واغتنام الأجر وإياه أن تملي له الدنيا
ولذتها وتسوّف له نفسه وتثبطه عن فعل الخيرات
بأن تقول له أنت تعيش من العمر كثيرا وسوف تفعل كذا
في عام كذا أو إذا جاء عام كذا فعلت كذا فكل ذلك
غرور وقد جاء النهي عنه **وينبغي للملك**

ان

أن يكون من أشد الناس خوفا وإشفاقا على نفسه طويل
الفكرة في عواقب الأمور حازما في تدبير مملكته مقربا
لمن حالفه مبعدا لمن خالفه وليتعاهد جنده كتعاهد
صاحب البستان بستانه فيخرج شوك شجره فيحيط به على
ثمره وزرعه ليقيه من الشر والفساد فينتخب الملك
أهل الشوكة من جنده فيجعلهم في أقاصيه وحدوده
ردأ للمملكة **وينبغي للملك** أن يكون كثير
الحذر في مواضع الأمن فإن العدو قد علم منه مواضع
الحذر وحالات الأمن فالمواضع التي يظن أن العدو لا
يكمن فيها فليكن أحذر ما يكون فيها **قال الشاعر**

أأمنتم ريب الزمان فنمتم ٭ رب خوف مكمن في أمان

وينبغي للملك أن يكثر من فرش مرقده • كانت
ملوك الفرس يجعلون لكل منهم أربعين فراشا في أربعين
موضعا مختلفة ليس فيها فراش يراه أحد إلا ويظن أنه
فراش الملك وأنه نايم فيه • ولا ينبغي لأحد أن يطلع على
الموضع الذي ينام فيه الملك إلا الوالدين خاصة
أما الولد وساير الأقارب فلا وينبغي للملك
أن يعني بترفيه جسمه • وتحسين ذكره • وتنفيذ أمره •
وأن يكون في عدله بين رعيته كالقمر إذا استهل
أيامه • وأضا واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوءه
كذلك الملك ينبغي أن يكون بهجته وزينته وإشراقه
في مجلسه وإيناسه لرعيته ببشره فلا يخص شريفا دون وضيع

بعدله

بعدله وقال بعض الحكما قلوب الرعية خزاين ملكها فما
أودعه إياها وجده فيها وقال آخر شجر الملك
لا يثمر حتى يسقى بما قلوب الرعية وقال أبو مسلم الخولاني لمعوية
يا معوية إنك إن عملت خيرا جزيت خيرا • وإن عملت شرا
جزيت شرا • لو عدلت بين أهل الأرض ثم جرت على واحد
منهم لما وفا جورك بعدلك وكان المنصور يقول
لذة العفو ألذ من لذة التشفي لأن لذة العفو يتبعها حميد
العاقبة • ولذة الانتقام يتبعها سوء العاقبة وكان
المقتدر بالله يقول لم يملكنا الله الدنيا لننسى
نصيبنا منها • ولم يوسع علينا لنضيق على من في ظلالنا
حكي أن ناصر الدولة الحمداني رحمه الله سخط على

كانت له وأمره بلزوم بيته فاستوذن في قطع معلومه
فقال إن الملوك يؤدبون بالهجران ولا يعاقبون بالحرمان
وخوطب بعض الحكما في اسقاط جراية بعض خدمه فقال
لا أحب توفير مالي بنقصان أتباعي وقال أنوشروان
مثل الذي يعمر خزاينه بأموال رعيته كمثل الذي يطين
سطح بيته بالتراب الذي يقتلعه من أساسه وقال آخر
العمارة كالحياة والخراب كالموت وبنا كل ملك على قدر
همته وأعقل الملوك أبصرهم بعواقب الأمور وقيل
إذا ساوى الوزير الملك في زيه وماله وطاعة الناس له
فليصرعه الملك وإلا فليعلم أنه هو المصروع وينبغي للملك
أن يعرف للناصح قدره ويشكره ويظهر له بشره فان

يسمع

يسمع فيه أقاويل الأعدا أبطل نصحه وكان له العذر
وكان أبو محمد العامري يقول أحق الناس بالمودة أبذلهم
للنصيحة وقال الإسكندر لا تستحقر بالرأي الجليل
يأتيك به الرجل الحقير فإن الدرة الفايقة لا تستهان
لهوان غايصها وقال بعض الحكما خذ الدر من البحر
والذهب من الحجر والمسك من الفارة والحكمة ممن قالها

فصل في ذكر درر ملتقطة وآداب متفرقة

من كلام أكثم بن صيفي رحمة الله عليه وهو رجل كان له
عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنه حكما
لطيفة والفوايد تصانيف شريفة فمن حكمه
من فسدت بطانته فقد حانت منيته من وفا بالعهد

فاز بالحمد • طول الغضب يورث الوصب • من لم يكف
أذاه لقي ما ساءه • إن من الكرم لين الشيم • من حلم ساد
ومن تفهم ازداد • لا تكثر المزاح فتذهب هيبتك
ولا من الضحك فيستخف بك • ارفض أهل الدناءة تلزمك
المهابة • دع مجالسة أهل الريب على كل حال • فإنك إن
سلمت في دينك لم تسلم من سوء المقال • الكرم شكر
واللؤم كفر • من خاف ربه كف ظلمه • من كثر كلامه
قل مقامه • الحلم زين ومنفعة • والجهل شين ومضرة
التدبير قبل العمل يؤمنك الندم • شر الزاد للمعاد
العدوان على العباد • من أكثر من شيء عرف به • ومن
سل سيف البغي قتل به • من استغنى بعقله زل • ومن تكبر

على الناس ذل • من جالس العلماء وقر • ومن خالط السفهاء
احتقر • من كثر كلامه كثر خطاؤه • ومن كثر خطاؤه
قل حياؤه • ومن قل حياؤه قل ورعه • ومن قل ورعه مات
ومن مات قلبه دخل النار • من لم يملك عقله لم يملك
نفسه • من أظهر محاسنه ودفن مساويه كمل عقله • إذا
صادقت الوزير فلا تخش الأمير • احفظ إخوانك تذل
أعداءك • مصادقة الكرام غنيمة • ومصادقة اللئام
ندامة • إنما الصديق الذي يبذل لك ماله عند الحاجة
ونفسه عند البلية • ويحفظك عند المغيب • وينفعك
عند الرجاء • طوبى لمن أخلص لله علمه وعمله • وحبه • وبغضه
وأخذه • وتركه • وكلامه • وصمته • وقوله • وفعله • والسلام

قلبه

أقول قد جمعت في كتابي هذا المحاسن ما انطوت
عليه سير الملوك الأول، وحكماء الدول، فنظمت
ما ألفيت في كتبهم من الحكم الحسنه، والسير المستحسنه
والكلمة اللطيفه، والطريقة المألوفه، إلى ما رويته
وجمعته من سير الأنبياء، وآثار الأولياء، وبراعة العلماء
وحكمة الحكماء، ونوادر الخلفاء، وما انطوى عليه القرآن
العظيم، الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم، ومعدن السياسات
ومغاص الجواهر المكنونات، فانتظم الكتاب بحمد الله
وعونه، وأحكمته غاية في فنونه، خفيف المحمل كثير الفايده
جليل العايده، عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسه
وجنة لمن تحصن به من أولي الإمرة والسياسه، وكان الباعث

إلى على تأليفي لهذا الكتاب، أني رأيت مولانا السلطان
أدام الله لإعزاز الدين نصره، وأنفذ في العالمين بالحق أمره
قد تفضل الله تعالى به على المسلمين فبسط فيهم يده، ونشر
في مصالح أحوالهم كلمته، وتقلد أمور الرعيه، وسار
فيهم سيرة مرضيه، سالكاً سبل العدل، ومناهج الانصاف
والفضل، متحرياً للصواب، راغباً في الثواب، فأحببت
أن أتحفه بهذا الكتاب، راجياً للثواب، من الملك الوهاب.

شعر

الناس يهدون على قدرهم، لكنني أمشي على قدري
يهدون ما يفني وأهدي الذي، يبقى على الأيام والدهر

وقد أحببت أن أختم هذا التأليف المبارك

بالصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبيا وسيد المرسلين
راجيا من الله حسن الخاتمة وأن أحظى بشفاعته فأصير من الآمنين

فقلت

اللهم اجعل أفضل صلواتك عددا ونوامي بركاتك
سرمدا وأزكى تحياتك فضلا ومددا على أشرف الحقائق
الإنسانية ومعدن الرقائق الإيمانية ومهبط الأسرار
الرحمانية وطور التجليات الإحسانية وواسطة عقد
النبيين ومقدم جيش المرسلين وأفضل الخلق أجمعين
حامل لواء العز الأعلى ومالك أزمة الشرف الأسنى
شاهد أسرار الأزل ومشاهد أنوار السوابق الأول
وترجمان لسان القدم ومنبع العلم والحكم مظهر سر

الوجود

الوجود الجزئي والكلي وإنسان عين الوجود العلوي
والسفلي وروح جسد الكونين وعين حياة الدارين
المتخلق بأعلا رتب العبودية والمتحقق بأسرار المقامات
الاصطفائية سيد الأشراف جامع الأوصاف
الخليل الأعظم والحبيب الأكرم سيدنا محمد
المحمود في الإيجاد والوجود الفاتح لكل شاهد
ومشهود حضرة المشاهد والشهود نور كل شيء
وهداه وسر كل سر وسناه الذي منه انشقت
الأسرار وانفلقت الأنوار السر الباطن والنور الظاهر
السيد الكامل الفاتح الخاتم الأول الآخر الباطن
الظاهر العاقب الحاشر الناصح الناصر الصابر

الشاكر القانت الذاكر الماحي الماجد العزيز الحامد
المؤمن العابد المتوكل الزاهد القايم الشافع الشهيد
البرهان الحجة المطاع المختار الخاضع الخاشع البر
المستنصر الحق المبين طه يس المزمل المدثر
سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين وحبيب
رب العالمين النبي المصطفى والرسول المجتبى الحكم العدل
نورك القديم وصراطك المستقيم محمد عبدك
ورسولك وصفيك وخليلك وحبيبك ووليك
ودليلك ونجيك ونجيبك وذخيرتك وخيرتك من خلقك
إمام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة النبي الأمي العربي
القرشي الهاشمي الأبطحي المكي المدني التهامي الشاهد

المشهود

المشهود الولي المقرب السعيد المسعود المليح البديع
الجليل الجميل العطوف الرحيم الشاهد البشير الواعظ
النذير السراج المنير الذي ختمت به الرسالة والدلالة
والبشارة والنذارة والنبوة والفتوة ونصرته بالرعب
وظللته بالسحب ورددت له الشمس وأشققت له القمر
وأنطقت له الضب والظبي والذيب والذراع والجمل
والجبل وأنبعت من أصابعه الزلال وأنزلت بدعوته
في عام المحل والجدب وابل الغيث والمطر فاعشوشب منه
القفر والصخر والوعر والسهل والرمل والحجر وأسريت به
ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السموات العلى
إلى سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدنى وأريته الآية

الكبرى، وأنلته الغاية القصوى، وأكرمته بالمخاطبة
والمراقبة، والمشافهة والمشاهدة بالنظر، وخصصته
بالوسيلة العذراء، والشفاعة الكبرى، يوم الفزع الأكبر
في المحشر، وجمعت له جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وجعلت
أمته خير الأمم، وغفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،
اللهم إنا نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح
الأمة، وكشف الغمة، وجلا الظلمة، وجاهد في سبيلك
وعبدك حتى أتاه اليقين اللهم عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره
وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته
وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين
بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة الخلق المقربين،

الشهود، وصل يا رب على إخوانه من الأنبياء والمرسلين
والأولياء والصالحين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
اللهم بجاههم عندك وقربهم لديك توفنا مسلمين
وألحقنا بالصالحين، وأخرجنا من هذه الدنيا سالمين
برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اجعل خير زماننا
آخره، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك
واختم لنا منك بخير، واجعلنا نلقاك وأنت راض عنا
وأصلح أحوالنا، ويسر أرزاقنا، وحسن أخلاقنا
وعاملنا بأهليتك ولا تعاملنا بأهليتنا اللهم
إنا نسألك إيمانا دائما يباشر قلوبنا، ويقينا صادقا
حتى نعلم أنه لن يصيبنا إلا ما كتبت لنا، والرضا بما قسمت لنا

اللهم وأيد الإسلام، وانصر كلمة الإيمان

ببقاء عبدك مولانا السلطان من وليته أمور الأنام

اللهم انصره وبصره بأنوار معرفتك، وافتح قلبه

لمحبتك، وألهمه العدل في الأحكام بين خليقتك

ووفقه للقيام بأداء فرائضك، واتباع سنة نبيك

وارزقه إيمانا دائما، وقلبا خاشعا، ولسانا ذاكرا، وعلما

نافعا، وولدا صالحا، وسنا طويلا، وعملا صالحا، وانصر

جيوش المسلمين، وعساكر الموحدين، واخذل الكفرة

والمشركين، وأصلح فساد قلوبنا يا رب العالمين اللهم

ما قدرت لي من أمر وشرعت فيه بتوفيقك وتيسيرك

فتممه لي بأحسن الوجوه وأصلحها وأصوبها إنك على ما تشاء قدير

وبالإجابة

وبالإجابة جدير، يا من قامت السموات والأرضون بأمره

يا من يمسك السما أن تقع على الأرض إلا بإذنه، يا من أمره

إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، صل على عبدك

ونبيك محمد، وأجزه عنا أفضل ما جزيت نبيا عن أمته

وأدخلنا في شفاعته، وأرنا وجهه واسقنا

من حوضه بيده شربة لا نظما بعدها

أبدا يا رب العالمين دعواهم

فيها سبحانك اللهم

وتحيتهم فيها سلام

وآخر دعواهم

أن الحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب وكتابته

الحمد لله الصمد القدير العالم الخبير خالق
نوع الانسان بأحسن تصوير ورافع منار
العلما لارشادهم العباد باكمل تدبير فسبحانه
من مبدع في صنعته وكلنا قاصر عن درك
حكمته احمده على ان فضلنا على كثير خلقه
وزين نوع الانسان بحسن نطقه واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الصمداني
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المعجز
بفصاحة بلاغته القاصي والداني صلى الله عليه
وعلى اله الذين حازوا قصب السبق ففازوا
وزهدوا الدنيا فعاشوا سعداء وجازوا ولعد

فقد وقفت على هذا المولف الشريف والاسلوب
البديع الظريف الذي لم ينسج على منواله ولم تسمح
القرائح بمثاله فوجدته كالتبر المسبوك والذهب
المعروك وكيف لا ومولفه اكسير العلوم والمشار
اليه في طريقي المنطوق والمفهوم فحق لنا ان ندعو
له بالزيادة ونسأله ان يثيبه على هذه العباده
والمستمد من فضله اجراؤنا على خواطر
في اوقات مراقباته وخواطره قال ذلك وكتبه
العبد الفقير المعترف بالتقصير ابرهيم بن علي احمد
الكركي الحنفي حامدا مصليا مسلما محسبلا
محوقلا متوكلا مستغفرا ٥